سلسلة دراسات وبحوث إسلامية

مقارنة الأديان الثلاثة

(ونبذة تاريخية عن الديانات الأخرى)

تأليف

الدكتور: أحمد جابر بدران

مدير مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية

وخبير اقتصاد مركز صالح عبد الله كامل

جامعة الأزهر

الفهرس العام

مبحث تمهيدي

مفهوم الدين

"إن الدين عند الله الإسلام" يعنى أن الدين المقبول عند الله هو دين الإسلام.

والإسلام هو الخضوع لأوامر الله بلا اعتراض ولا تردد ولا توقف فى الأجراء وأديان الإسلام المنزلة هى ثلاثة: الموسوى والعسوى والمحمدى. فالموسوى هو الدين الذى جاء به من عند الله موسى النبى كليم الله. والعيسوى هو الدين الذى أتى به من عند الله عيسى المسيح كلمة الله. والمحمدى هو الدين الذى جاء به النبى محمد رسول الله متلقيا اياه عن الملاك جبريل (أو جبرائيل) الروح الأمين المرسل من قبل الله([1]).

إن دين الإسلام يعم الأديان الثلاثة . لأن إبراهيم أبا كل المؤمنين فى الأديان الثلاثة كان مسلماً. وكذلك إسماعيل ويعقوب وكل النبيين كانوا مسلمين. والحواريون بحسب شهادة القرآن المبين كانوا مسلمين. وإلا لكانوا عاصين أو مخالفين أو مرتابين ومرفوضين.

ولقد لقب كل هؤلاء بالمسلمين لأنهم وجهوا كل صلواتهم وتعبداتهم ومحياهم ومماتهم لله رب العلمين ولم يشركوا به أحداً ابتغوا سواه رباً (سورة الأنعام ١٩٣)

([1]) انظر: خلاصة الأديان وزبدة الإيمان في التوارة والإنجيل والقرآن خرصفور حيارة الدمشقي ، مصر ، سنة ٩٥م ص١-٧ .

إذا بلقب المحمديون (دون سواهم) بالمسلمين مـــه أن رســـل الأديان الثلاثة وكل اتباعهم الصادقين كانوا بحسب شهادة نـــصوص الوحى المبين.

لأن هذه الآية وردت فى قرآن المحمدين العربى.

ثانياً تعزيز للدين المحمدى علـــى الـــدينين الآخـــرين كـــأن الإسلام هو خاص بالدين المحمدى دون سواه وهو جوهر الأديـــان الثلاثة وركن عمادها وبه قوامها وحياتها. ثالثاً تمييـــزا للمحمـــديين عن الموسويين والعيسويين الذين لم يقبلوا القرآن ولا رسالة النبـــى محمد. وبالتالي تجنبوا هذا اللقب (تباعدا لهم عن المحمـــدين) ولـــم يسلموه ترجمات كتبهم المنزلة.

إن لفظة السلام لم تـــرد فـــى كتـــبهم المنزلـــة بـــالعبرانى واليونانى. ولكن معناها وارد كثيرا جدا فيها. ويعبر عنه تارة بلفظة ايمان أو ثقة وتارة بلفظة النكران أو الكفران بالـــذات أو التربـــى منها. وتارة بلفظة التسليم أو الإبانة. وتـــارة بلفظـــة الخـــضوع أو الإذعان أو الاتفياد وما أشبه. ومعنى الإسلام فيها غالبا هو الإيمان المجرى بالعمل. وهذا ورد كثيرا فى كتب النصارى واليهود.

الدين الذى جاء به موسى النبى هو دين شريعته العهد القديم التى بحسبها عبد الله هو وكل النبين وسائر بنى إسرائيل إلى مجىء سيدنا عيسى وميثاق العهد الجديد.

والدين الذى جاء به المسيح هو دين شريعته العهـــد الجديـــد التى سنها بإذن الله يسوع المسيح وسلكها هو أولاً وشرعها لكل من

أراد أن يقتفى أثارة ويرث الحياة الدائمة والملك السماوى والسعادة الخالدة.

أما الدين الذى جاء به الرسول محمد فهو دين الشريعة أو القرآن الذى تلقاه عن جبريل الروح الأمين وبلغه إلى من سمع من العالمين وسلكها هو أولا وسار بها إلى الله هو وكل من تبع آثاره واقتفى سنته.

منابع هذه الأديان الثلاثة أو الشرائع المنزلة كتب الوحى وهى أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد والقرآن. أسفار العهد القديم هى ٣٩ سفراً وهى توارة موسى النبى وزير داود وأسفار الأنبياء وكتب سليمان وأيوب وسائر الكتب الأخرى.

إن كلمة توارة هى عبرانية ومعناها شريعة وهى الشريعة التى أعطاها الله على جبل لموسى الكليم مكتوبة على لوحين من حجر لكى يتعلمها بنو اسرائيل ويعبدوا على مقتضاها.

أسفار العهد الجديد هى سبعة وعشرون سفراً وهى الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل ورسائلهم وسفر الكشف أو الرؤيا.

إن كلمة إنجيل هى يونانية معربة ومعناها بشارة أو خبر زين أو خبر خير. وهى البشارة التى نادى بها السيد المسيح وبعده الحواريون وكتب عنها الإنجيليون.

والفرق بين العهد القديم والعهد الجديد أن العهد القديم هو الميثاق الذى أخذه الله على بنى إسرائيل بأن يسلكوا بمقتضى الشريعة التى بلغت إليهم على يد موسى الكليم. والعهد الجديد هو

الميثاق الذى أخذه الله عليهم بأن يسلكوا بحسب الشريعة التى أخذوها على يد السيد المسيح

كان موسى النبى هو كليم الله الذى أرسله إلى فرعون وبنى إسرائيل وأخرجهم من مصر بآيات باهرة وقادهم فى البرية أربعين سنة وبلغهم وعلمهم شريعة الله وأحكامه وبنى لهم المعبد وأنبأ عن محبى المسيح وعن غيره أمور عديدة.

وكان السيد المسيح هو عيسى أو يسوع المسيح كلمة الله وروح منه المولود من أم بكر مفضلة على نساء العالمين. ووجيه الدنيا والآخرة الذى علمه الله الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعله آية ورسولاً للعالمين وخالقاً بإذن الله. وبه فعل الخوارق كإبراء الأبرص والأكمه وإحياء الموتى وما أشبه ذلك.

القرآن

هو مجموع الآيات والسور التى قرأها أو ألقاها الملاك جبريل (أو جبرائيل) على الرسول محمد، والرسول بلغها إلى الناس بحسب أمر الله.

ومحمد رسول رب العالمين أجمعين. وبشيراً ونذيرا وخاتم النبيين

والفرق بين الدين الموسوي والدين العيسوي. أن الدين الموسوي ظاهرى جسدانى محلي وقتى واستعدادى. والعيسوى باطنى وروحانى شامل أبدى وتكميلى. الموسوي كان رموزاً ورسوماً وإشارات والعيسوي حقائق وكمالات ذوات. الموسوي شريعة عدل ومجازاة والعيسوي شريعة فضل وإحسان. الموسوي

كان قاصراً على تخويل السلامة الكاملة للإنسان فى الدارين، والعيسوي بالغ فى تخويل أرقى السلامة والأمان لكل إنسان والسعادة والملك فى ديار الخلود والهناء. إمام الموسوي نبى الله موسى الكليم عبد الله. وإمام العيسوي السيد المسيح كلمة الله الإبن الحبيب الوحيد لله فى سمو ذاته وبديع صفاته. منبع الدين الموسوي أسفار العهد القديم ومنبع العيسوي أسفار العهد الجديد والعهد القديم معاً.

لأن جوهر الدين الموسوي هو الاستعداد والتجهيز للدين العيسوى. وأهم فرائض شريعته هى الضحايا الحيوانية وبقية الخدم الدينية. وهذه كلها مربوطة بالكهنوت والكهنوت مربوط بحرم سليمان وحرم سليمان مقره وطن فلسطين وركن الوطن هو الملك. فالملك زال وأخذ الوطن وخرب الحرم وبطل الكهنوت وحرم تقديم الضحايا وسائر الفرائض الدينية المقيدة بحرم سليمان وأرض فلسطين. ومن وقتها صار الدين الموسوي عقيماً بلا حياة روحية ولا نعمة إلهية ومحصورة فى اليهود وحدهم. ولم يبق منذ صعود السيد المسيح حتى الآن الأكيدين تاريخى لدى كل شعوب الأرض بصحة التوراة وسائر كتب الأنبياء وأسفار العهد القديم التى هى أساس منبع الدين العيسوي والدين المحمدى كليهما.

والدين المحمدى القرآنى بحد ذاته ليس ديناً جديداً أو ميثاق عهد آخر خلاف الموسوي والعيسوي. بل رد إلى صواب فهم كتب العهدين وتكميل ما خليا منه من الشرائع المدنية والزوجية والوراثية والتعاملية. وإصلاح أغلاط اليهود والنصارى فى العقائد الإيمانية

وبعض الآداب الدينية. وتعلم كيفية الصلاة والزكاة والصوم والحــج والمعاملات الأهلية. وتأكيد لمجيء سيدنا عيسى أول مــرة مــسيحاً ورسولاً للعالمين ووجيهاً فى الدنيا والآخرة لدى الله عن المــؤمنين أجمعين. وتصديق للتوراة والإنجيل اللذين بين يديه والزبور وسائر كتب النبيين. وهدى ورشد ورحمة للعرب قطعــاً لعبــتهم ومنعــاً لاعتذارهم. وتثبيت للأوامر والنواهى السابقة وتوضيح لأهوال يوم الحساب والعذاب وتبيين لأحوال جنات الخلــود والثــواب. وجعــل شرعةٍ بين الشرعتين. ومنهاجٍ بين المنهاجين الموسوي والعيسوي. وإنشاء أمةٍ وسطٍ بين الآمتين فى السنن والمعاملات لا فــى الــدين والاعتقاد. واستعداد وتجهيز لمجيء المسيح ثانية مجيء مجدٍ وعزٍ. كما كان الموسوي قبل مجيئه مجيء وضاعة وذل. وأخيراً لأظهار دين الحق على الدين كله دين الإسلام التام إسلام كل الحيــاة حتــى الختام. دين إبراهيم وموسى ومحمد وعيسى أعظم مسلم وإمام ســيد الأنبياء والمرسلين وقاضى بنى آدم أجمعين.

خلاصة الشريعة الموسوية هى حفظ الإيمان بــالله الواحــد الأحد الدائم الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وإزالة الشرك بالله وعبادة آلهة الكذب و تعليم دين الإسلام قولاً وعمــلاً، والجهاد فى سبيل الله ونصر دين الحق ونشر التقى ونور الهــدى و تعليم طرق العبادة المقبولــة لــدى الله والعدالــة فــى المعــاملات والإحسان لذوى القربى و نواهٍ عن المنكرات وأوامــر بــالمعروف والحسنات. وترتيب سنن وفرائض لتحضير أمة مؤمنــة مــستعدة لقبول المسيح الفادي آدم الثاني المنتظر من عهد ســقوط آدم الأول.

والدخول فى العهد الجديد عهد الأنعام والفضل والكمال الروحانى وتمام السلامة والأمان فى الدارين للسلوك فى صراط الحياة الجديدة الموصلة إلى جنات النعيم والسعادة الخالدة ووراثة الملك الأبدى.

خلاصة الشريعة العيسوية هى فتح باب التوبة والغفران ونوال النعمة والرضوان. وترقية وصايا شريعة موسى إلى ما هو أفضل وأشمل وأنور. وتعليم الفضائل السامية قولاً وعملاً. وفتح باب السلوك فى الكمال الروحانى. وطريق الخلود والغبطة الأبدية ونوال وراثة الملك السماوي. وحملان صليب الوضاعة والصبر وإسلام الذات لله واقتفاء آثار المسيح واتباع خطواته فى الحب والخضوع لأوامر الله وخدمة ذوي القربى وفعل الإحسان وقبول يسوع سيداً ومسيحاً ورسول رب العالمين ومعلماً للناس أجمعين وفادى كل المؤمنين وشفيعاً وسيطاً وجيهاً قريباً لدى الله الأب أرحم الراحمين بصلبه وموته وقيامته وصعوده وجلوسه عن اليمين.

خلاصة الشريعة الإسلامية([1]) هى الإيمان بالله الواحد الأحد الدائم الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. والإيمان بالرسول محمد رسول رب العالمين وبشيراً ونذيراً للناس كافة وخاتم النبيين. والإيمان بملائكة الله وأنبيائه ورسله. ولا سيما بإبراهيم المسلم الخليل. وموسى النبى الكليم. وداود المرتل العظيم. وسليمان الملك الحكيم. وعيسى المسيح كلمة الله وروح منه ورسول الآمين. ومريم العذراء المصطفاه على نساء العالمين. ويحيى النبى السيد الحصور. وبالتوراة والزبور والإنجيل والقرآن

([1]) انظر خلاصة الأديان ص١١ .

وسائر كتب الرحمن. والإيمان بالقيامة واليوم الآخــر يــوم الــدين وحساب الكفرة والمنافقين. وسعادة الأبرار والــصالحين. وتعاســة وعذاب الصالحين. وإقامة الصلاة. وإيتاء الزكاة وصوم رمــضان. والحج لمن استطاع إلى ذلك سبيلا والجهاد فى ســبيل الله بالمــال والنفس والبنين. وعمل الصالحات وترك المنكرات والإحسان لذوى القربى . ومن أمكن من بنى الإنسان.

الأمور الشائعة والعامة في هذه الأديان الثلاثة([1])

هي : ١- الإيمان بالله الواحد الأحد.

٢- الإيمان بالمسيح إماماً عظيماً وفادياً كريماً ووجيه الــدنيا والآخرة.

٣- الإيمان بالملائكة والأنبياء والرسل والكتب المنزلة.

٤- الإيمان باليوم الآخر والقيامة والحساب وثواب الصالحين وعذاب الصالحين أبدياً.

٥- مدح الفضائل وذم الرذائل.

٦- وجوب عمل الصالحات وتحريم فعل المنكرات.

٧- وجوب إقامة الصلاة والزكاة والصوم والتعبــد وزيــارة بيوت الله الحرام.

٨- الجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس والبنين.

٩- الإيمان بالشفاعة لمن أذنى الله له.

١٠- الصلاة عن الراقدين وعليهم.

١١- اعتبار مزارات الأولياء.

([1]) انظر: خلاصة الأديان ص١٢-١٤ .

١٢- وجوب إقامة خدمة دين للإقامة فـــى الـــصلاة والتعلـــيم بالكلام والعمل. وقضاء خدمة الدين والدعاء للغير وإعطاء البركـــة باسم الله

١٣- تعيين يوم من الأسبوع للانقطـــاع عـــن أشـــغال الـــدنيا والانعكاف على الصلاة والتعبد ومطالعة كلام الله وفعـــل الإحـــسان الخ.

إن كل الكتب المنزلة هى كلام الله موحى به الروح القـــدس. وكلام الله ثابت للأبد. وكل كتاب من أسفار الوحي أتى مصدقاً لمـــا تقدمه من الكتب. كما أن كل نبى أو رسول أتى شاهداً لمن ســـبقه. فأسفار الزبور والأنبياء صدقت علـــى أســـفار موســـى وأيـــدتها. والإنجيل أيدها كلها وصدق عليها. كذلك رسائل الحواريين كانـــت مصداقاً للإنجيل ولكل أسفار العهد القديم ومهيمنـــة عليهـــا. ثـــم أن القرآن أتى مصدقا للإنجيـــل والزبـــور والتـــوراة وســـائر كتـــب الأنبياء.ولم يقل أنها أبطلت أو أنه حاو لها أو مغن عنها. بل نـــراه بالعكس يصدق عليها ويؤيدها ويهيمن عليها. ويشهد بأنهـــا نـــوراً وهدى ورحمة للعالمين وأن إقامتها لازمة وتجب مراعاتها.

إن القرآن العزيز يأمر قائلاً: "قولوا آمنا بالله وما أنزل ألينـــا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأســـباط. ومـــا أوتى موسى وعيسى. وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحـــد منهم ونحن له مسلمون" (سورة البقرة ١٣٠) وقال أيضاً : "يا أهـــل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم" (سورة المائدة ٧٢). وقال أيضاً "وقفينـــا علـــى آثـــارهم

بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصداقاً لما بين يديه من التـوراة وهـدى وموعظـة للمتقين. وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكـم بمـا أنزل الله فأولئك هم الفاسقون. وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه. فاحكم بينهم بمـا أنـزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق. لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً (سورة المائدة: ٥٠، ٥١،٥٢).

فيتضح جلياً من هذه الآيات ومن كثير غيرها أن الكتب كلها من إبراهيم إلى محمد هى منزلة مـن لـدن الله وموحـاة بروحـه القدس. أنه يجب الإيمان بها كلها وعدم التفريق بين كتاب وكتـاب أو رسول ورسول. بل يلزم قبول كل هذه الكتب وطاعة كل رسلها بلا تمييز. يعنى بلا قبول البعض ورفض الآخر. بل بقبول الكل من كتاب ورسول.

إن كل كتاب هو مصدقاً لما بين يديه ومهيمن عليـه. يعنـى أنه لا ناسخ لما قبله ولا مبطل. ولا مناف ولا مضاد. بـل مثبـت وشاهد مؤكد. أنها كلها نور وهدى (للسلوك فيها) لا ضلال وعمى. وإنها كلها حق وموعظة للمتقين. أنه يجب إقامتها كلهـا وإجـراء أحكامها بحسب ما أنزلت له واتباع صراطها أو طريقها والـسلوك فيه بحسب ما أمر الله و أن الاختلاف بينها ليس اخـتلاف مبـادئ وعقائد وأصول. بل اختلاف نوع التنزيل (أو الإيحاء أو الإلقـاء)، واختلاف أسلوب التبليغ والإيصال أو الـسلوك والـسيران. وذلـك لاختلاف الظروف والاستعداد، ولذا قال تعالى: "لكل مـنكم (أيهـا

اليهود والنصارى والعرب) جعلنا شرعةً ومنهاجاً" ، يعنى نوع تنزيل وأسلوباً خصوصياً للسلوك بحسب القابلية والمناسبة. ولكن دين الحق هو واحد. ويجب إظهاره وإعلاؤه على الدين كله. كذلك النور والهدى والموعظة هى ضرورية للجميع على السواء. ولابد منها لكل من يبتغى سلامة الدارين.

المبحث الأول

التعريف بعلم مقارنة الأديان

إن مصطلح "مقارنة الإديان"أو "الدين المقارن" "Comparative Religion" قد صكه علماء الغرب فى نهاية القرن التاسع عشر، ليدل عندهم – على الدراسة العلمية للأديان، للتفريق بين هذا النوع الجديد من الدراسة وبين الدراسات اللاهوتية التى عرفتها المسيحية منذ نشأتها، وحتى اليوم، وقد اتسع نطاق علم مقارنة الأديان فى القرن العشرين ليشمل:

"تاريخ الأديان"و "فلسفة الدين" و "علم الاجتماع الدينى" و "علم النفس الدين" و"فينو منولوجيا الدين"، وهذه ليست علوماً مساعدة لكنها أقسام أو حقول لعلم "الدين المقارن"(١)

إذا كان علم "مقارنة الأديان"يعنى فى التحليل الأخير – فى رأينا – :أن تتخذ الأديان بعامة – كتابية ووضعية– والعقائد الدينية، أو الملل والنحل موضوعاً للدراسة العلمية بمناهج موضوعية لها أصولها وخصائصها وضوابطها التى اصطلح عليها أهل هذا الحقل، فإن الفكر الإسلامي منذ القرن الثاني للهجرة قد انفتح على أديان العالم وجعلها موضوعاً مستقلا للدراسة والبحث. ووضع العلماء لذلك مناهج علمية سديدة؛ فوصفوا أديان العالم وحللوها وقارنوا بينها وأرخوا لها وانتقدوا بعضها، وكانوا يستمدون أوصافهم لكل ديانة من مصادرها الموثوق بها، ويستقونها من منابعها الأولى، وهكذا فإنهم – كما يذكر العلامة محمد عبد الله

(١) Eric J . Sharps, Comparative Religion, A. History. New York, ١٩٧٥, P . ١٣.

دراز – بعد أن اختطوه علماً مستقلا، اتخـذوا لـه منهجـاً علميـاً سليماً([1])

لقد كان للفكر الإسلامي شرف النشأة الأولـى لعلـم الـدين المقارن، ومن ثم فإن الأبوة الشرعية لهذا العلم تكمن فـى الفلـسفة الإسلامية، ولقد فطن لهذه الحقيقة كثير من علمـاء الأديـان فـى الغرب وأقروا بها فى أكثر من مناسبة، ويجمل بنا أن نشير فى هذا الصدد إلى إشادة العلامة (H . Pinard de la boullaye) فى كتابه "الدراسة المقارنة للأديان"بابن حزم الأندلسى باعتباره رائد لمقارنة الأديان فى الفكر الإنسانى كله ([2])

أما الأستاذ (Eric J . Sharpe) فيرى أن شرف كتابـة أول تاريخ للأديان فى العالم يختص به الشهر سـتانى الـذى وصـف وصنف أديان العالم العشرة المعروفة فى العالم آنذاك إلـى حـدود الصين اعتماداً على منهج تاريخى سديد لم يكن لأى كاتب مـسيحى فى عصره أن يكتب مثله.

Tanding work for outstripes anything which christian writers weree capable of psroducing at the same period"([3])

ويرى (adam Mez) أن تـسامح المـسلمين مـع اليهـود والنصارى – وهو التسامح الذى لم يـسمع بمثلـه فـى العـصور الوسطى – سبب فى نشأة علم لم يكن قط مـن مظـاهر العـصور الوسطى؛ هو علم "مقارنة الأديان" أو "مقارنة الملل"، ولم تكن نشأة

([1]) الدكتور محمد عبد الله دراز – الدين ، بحوث ممهدة لتاريخ الدين المقارن، نشرة دار الفكر العربى ص١٤.

([2]) H . pinard de la bouilaye, L Etude Comparee deo religions, (introduction) ٤th ed.

([3]) shape, Ibid, P . ١١.

هذا العلم من جانب المتكلمين، ويقول: إن أكبر فرق بين الإمبراطورية الإسلامية وأوربا التى كانت كلها على المسيحية فى العصور الوسطى وجود عدد كبير من أهل الديانات الأخرى بين المسلمين، يتمتعون بنوع من التسامح لم يكن معروفا فى أوروبا فى العصور الوسطى، ومظهر هذا التسامح نشوء علم "مقارنة الأديان"؛ أى دراسة الملل والنحل على اختلافها والأقبال على هذا العلم بشغف عظيم"([1]) ولا ينبغى أن نغفل قول (Franz Rossental) أن الغرب يعترف اليوم صراحة بأن الدراسة المقارنة للأديان تعتبر واحدة من الإنجازات العظيمة للحضارة الإسلامية أسهمت فى التقدم الفكرى للإنسانية كلها.

"As one of the great Contribuitions of Muskim Civilization to Man-kinds intellectual progress"([2])

وقد أشادت (Encyc . Britanca) بجهود المسلمين المتميزة فى دراسة الأديان، أبرزت نقطتين جديرتين بالإشارة إليهما؛ تتمثل النقطة الأولى فى سبق المسلمين فى معرفتهم بالأديان معرفة تفوق المعرفة الأوروبية، والثانية هى أن دراسة المسلمين للأديان احتفظت بقيم الوحى والعقل معاً، وهو ما ينتفى وجوده فى كثير من الدراسات الغربية للأديان ([3]). وهذه عبارة دائرة المعارف البريطانية:

([1]) آدم متز، الحضارة الإسلامية، ترجمة الدكتور أبو ريده، ص ٢٨٨ طبعة الهيئة العامة للكتاب.

([2]) F . Rossental, From "Muslim Contributions.. "by G. Haider Aasi, AMSS, New York, ١٩٩٠.

([3]) Encyc . Britanica. Vol ١٥ , P , ٦١٥ (study of Religion).

“Mean while, islamic theology had an impact on western Chistianity, notably upon midieval Scholastic philosophy, in which the vaues of both reason and revelation were maintained. Muslim Knowledge of other re-ligions was in advance of European Knowladge, notably in the work of the theologain Ibn Hazm”.

ومهما يكن أمر هذه الاعترافات الغربية الصريحة بنشأة علم مقارنة الأديان فى الفكر الإسلامي، فهى- فى رأينـــا – ليـــست الطريـــق الصحيح للبرهنة على صحة دعوانا بأن الأبوة الشرعية لعلم مقارنة الأديان تكمن فى الفلسفة الإسلامية، ولقد بدأنا اقتباس هذه النصوص رعاية لحق إخوان لنا أصابتهم حالة من (...) فلا يؤمنون بقـــضية تتعلق بالفكر الإسلامي وأصالته حتى يقرأوا عنها كلامـــاً أعجميـــاً غربياً أو شرقياً.

الطريق المنهجى للجواب على سؤالنا هو قراءة فكرنا الإسلامي فى هذا الحقل قراءة فاحصة واعية، وهذا ما قمنا به فعلا منـــذ خمـــس عشرة سنة، فوجدنا أن مفكرى الإسلام قد درســـوا أديـــان العـــالم وعقائد شعوبه دراسة مستفيضه رائدة لم تعرفها ثقافات الأمم قبلهم، وإن كانت قد عرفتها بعدهم بزمان طويل يزيد عن ألفية كاملة مـــن السنين.

لقد كانت وراء نشأة هذا العلم فى الفكر الإسلامي بواعث ودوافـــع كثيرة تآزرت وتساندت فى توجيه علماء، وحثهم نحو وضـــع هـــذا الحقل العلمى الجديد وتنميته وتطويره موضوعاً ومنهجاً؛ ويجـــيء حديث القرآن الكريم وإشاراته المتكـــررة إلـــى الأديـــان والعقائـــد الأخرى فى مقدمة هذه الدوافع. وإن جو التسامح الدينى والفكـــرى

الذى أوجده الإسلام فى ربوع الدولة الإسلامية قد أغـــرى الجميـــع -مسلمين وغير مسلمين- بالمخالطة والتواصل والمعايـــشة، وهـــذا بدوره قد أدى إلى الانفتاح والحوار والمناقشة والاحتكاك؛ كل ذلـــك فى مناخ من الازدهار الحضارى الرائع الذى خلق فـــى المـــسلمين شعوراً عميقاً بالمسؤلية العامة تجاه الإنسانية كلها.

لم يظهر "علم مقارنة الأديان" فى الفكر الإســـلامي حقـــلاً علميـــاً مستقلا بذاته مثل أصول الفقه أو الحديث أو التـــاريخ مـــثلا، لكنـــه ظهر على تخوم حقوق علمية أخرى، فهو بطبيعته من العلوم البينية التى تشتبك فى الموضوع والقضايا مع غيرها وإن استقل عنها فـــى مناهج الدرس والمعالجة، ومن ثم يتميز عنها فى الوظيفة والغاية.

ويمكننا أن نسوق أسماء بعض العلماء الذين كتبوا فى هـــذا الحقـــل مثل واصل ابن عطاء، والقاسم الرسى، والجاحظ، والجبائين، وأبى عيسى الوراق، والطبرى، والكندى الفيلسوف، والنـــوبختى، وابـــن رين الطبرى، والحسن بن أيوب، والقاضى عبد الجبار، وابن حـــزم الأندلس، وأبى الوليد الباجى، وأبى الحسن الأشعرى، والبـــاقلانى، وأبى المعالى الحسينى العلوى، وأبى الحسن العامرى، والبيرونـــى، والجوينى، والغزالى، والخزرجي، والقرطبـــى المفـــسر، والـــشهر ستانى، وابن تيمية، والسكسكى، والطوفى الفقيه، والسموأل بن يحى المغربى، ونصر بن يحيى المتطبب، وعبد الله الترجمانى، فـــضلا عن المسعودى واليعقوبى، والمقريزى، ورحمة الله الهندى، وخلـــق كثير يصعب حصرهم.

ولبيان جهود المسلمين فى هذا الحقل ينبغى أن نركز علـــى بيـــان إسهاماتهم، ومناهجهم، وأثرهم أو القيمة العلمية لدراساتهم، وقبل أن نأتى إلى بيان ذلك نشير إلى نقطة مهمة فى رأينا فى تجليه نظـــرة الغرب المسيحى إلى الأديان المختلفة وتفـــسير نـــشأتها أو أصـــلها Origon وتنوعها وتعددها، وبيان منهج دراستهم لها طوال العصور الوسطى وحتى قرب نهاية القرن التاسع عشر، واعطـــى الفرصـــة لمؤرخ الأديان sharpe . Eليوضح ذلك بقوله :

"Partically no study of other Religions was carried out during these Centuries , Other than for pueposes of refutation and ultimate conquest. The bibical and post biblical theories of the origing of the non Christinan religions as delivery or as the work of fallen angels held sway through- (١)out".

لم يدرس الغرب المسيحى – طوال تلك القرون – الأديان المخالفـــة إلا بغرض دحضها وتمام قهرها، كما أن نظرياتهم اللاهوتية عـــن أصل أو نشأة الأديان الأخرى انتهت إلى أنها رجس مـــن أعمـــال الشياطين أو من أعمال الملائكة الساقطين، ولم يكن هذا رأيا شعبياً، لكن كبار آباء الكنيسة Church Fathersمثـــل جوســـتن الـــشهيرة وتاتيان، ومانشيوس فلكس وترتوليان، وســـيريا نـــوس قـــالوا بـــه وعلموه، ويضيف "شاربى"أن الانغلاق الصارم والتعـــصب Strict Exclusiveness and Intolerence كانـــا وراء ذلـــك، بـــل ووراء

(١) Sharpe, Ibid, P . ١١.>

الاعتقاد بأن أية دراسة للأديان الأخرى لن تقود إلا إلى تناقض حاد ([1]) مع المسيحية.

وإذا ما انتقلنا إلى الجانب الآخر، إلى الفكر الإسلامي لنسأل: هل كانت دراسته للأديان الأخرى بهدف فهمها ووصفها وتحليلها ومقارنتها، أم كانت دراسات جدلية خصامية، هدفها الأوحد هو الرد والإبطال والدحض؟.

ومما يؤسف له أنه لا يزال بعض المشتغلين بالفلسفة الإسلامية يرون أن الدراسات الإسلامية للأديان كانت كلها دراسات جدلية تستهدف الإبطال والنقض. ونرى من جانبنا أن فى هذا الحكم تعميما سببه عدم التعمق فى دراسات المسلمين من جهة، وعدم الأخذ فى الاعتبار تفاوت مناهج العلوم؛ أعنى علم الكلام وعلم دراسة الأديان، واختلاف وظائفها من جهة أخرى.

ويمكننا أن نقول مطمئنين أنه لم تكن كل جهود المسلمين فى دراسة الأديان ذات طبيعة جدلية حجاجية Apologetical or polemical Nature ، لكنها اشتملت – إلى جانب الجدل – على التاريخ والوصف، والتحليل العلمى، والمقارنة الموضوعية، والتقدم المنهجى، ويمكننا أن نقدم نماذج وأمثلة واضحة لكل جانب من هذه الجوانب التى تعد من صميم علم الدين المقارن بأدق معانيه المعاصرة.

([1]) Ibid, Pp. ٩-١٠.

المبحث الثاني

مناهج دراسة الأديان فى الفكر الإسلامي

٢/١ : منهج التاريخ والوصف([١]):

شغل التأريخ للأديان ووصفها مساحة واسعة من فكر المسلمين، ووضعوا لذلك أسساً وأصولاً أو قواعد منهجية غير مسبوقة، أى أنهم أصلوا وفننوا هذا المنهج، ثم طبقوه لموضوعية ونزاهة على أديان العالم المختلفة، بل كان لهم شرف كتابة تاريخ للأديان فى الفكر الإنسانى كله، قبل أوروبا بأكثر من عشرة قرون كما ذكرنا من قبل، وإن كثيراً من علماء الأديان لم يكونوا مناظرين أو مجادلين محترفين بحكم تخصصهم، ولو استعرضنا عناوين كثير من الكتب التى ألفها المسلمون عن الأديان لوجدنا أنها بعيدة عن الجدال والنزال، وأنها أدخل فى التأريخ والوصف والحكاية، وقد كان واضحاً فى أذهانهم بدليل أن العالم منهم كان يكتب فى الجدال والنقد كتاباً، ثم يكتب فى التأريخ والوصف كتاباً آخر؛ مثل أبى عيسى الوراق (من مفكرى القرن الثالث الهجرى) الذى كتب فى الجدل كتابه (الرد على فرق النصارى الثلاث) وكتب فى الوصف والتأريخ كتابه (مقالات الناس واختلافهم)، وهناك عدد من الكتب حمل عنوان "المقالات" لأبى القاسم البلخى وأبى الحسن الأشعرى، والناشيء الأكبر، والمسعودى مثلاً.

ثم كتب النوبختى كتابه (الآراء والديانات) وكتب أبو المعالى العلوى كتابه (بيان الأديان)، وصنف أبو العباس الإيرانشهرى

([١]) انظر بحوث في مقارنة الأديان د/ محمد عبد الله الشرقاوي دار الفكر القاهرة سنة ٢٠٠٠ ص٣٧ وما بعدها

والمسجى (درك البغية فى الأديان والعبادات)، وكتب كثيرون كتباً بعنوان (الملل والنحل) مثل البغدادى أبى منصور والشهرستانى وغيرهم، وكتب بعضهم فى (البرهان فى معرفة الأديان).

لو دققنا النظر فى هذه النماذج من العناوين التى كتبها العلماء المسلمون لعرفنا أن الدافع وراء كتابتها كان دافعاً علميا يدور حول البيان والفهم والوصف والتأريخ بعيداً عن الجدال والردود.

٢/٢ : منهج التحليل والمقارنة([١]):

لم تقف جهود علماء الإسلام عند المنهج التاريخى الوصفى فى دراسة الأديان، لكنها تمثلت فى منهج آخر هو المنهج التحليلى المقارن، ومما تجدر الإشارة إليه أن المقارنة عندهم لم تتخذ صورة واحدة أو شكلاً واحداً، لكن مفهوم المقارنة قد اتسع لديهم وتمثل فى صور متنوعة، منها على سبيل المثال: أن يدرس الباحث جانباً أو أكثر من ديانتين أو اكثر ثم يقارن بينهما، ومنها أن يتناول الدارس ديانة واحدة ويدرسها دراسة عميقة من كل جوانبها، أو بعضها فى خطوة منهجية تمهيدية لباحث آخر يأتى ويدرس ديانتين أو أكثر دراسة مقارنة. ومن صور المقارنة كذلك دراسة شخصية مؤسس الديانة أو رسلها مثل المقارنة بين المسيح عليه السلام فى التصور الكيرجماتى (الكنس) وشخص بوذا أو كرشنا، ومنها دراسة الأسفار التى يقدسها أصحاب الديانات وتحليلها ومقارنتها، صور المقارنة

([١]) انظر: المرجع السابق ص٤٣ ، وما بعدها .

إذا متعددة متنوعة، وقد استخدمها جميعاً علماء الإسلام، وارتضاها من بعد علماء الأديان الغربيون ونسجوا على منوالها.

٢/٣ : المنهج التحليلى النقدى([1]):

للنقد أصول أو قواعد منهجية وضوابط حددها علم منـــاهج البحـــث وأصبحت مستقرة تتمتع – على المستوى الفلسفى النظرى – بالقبول العام، وإن تفاوت الدارسون فى تطبيقها عملياً أو واقعياً.

لقد درس المسلمون الأديان أو جوانب منها دراسة نقدية فى كثير من أعمالهم العلمية التى حللوا فيها جانباً معيناً أو جوانب فـــى ديانة أخرى – تحليلا نقدياً، ويمكننا أن نمثل لهذا النوع من دراســـة الأديان بنماذج عديدة يصعب حصرها فى هذا المقام؛ منها: دراســـة ابن حزم الأندلسى لنص العهدين القـــديم والجديـــد old and New Testament ، ودراسة أبى حامد الغزالى تدعوا..... المسيح عليـــه السلام، وكذلك تحليل المسلمين النقدى لـــدعوى التثليـــث والـــصلب والقيامة والخطيئة الأصلية والكفارة فى المسيحية، والتناســـخ فـــى أديان الهند، والنسخ فى اليهودية ولجوانب مهمة فـــى الزرادشـــتية والمانوية إلخ.

٢/ ٤ : منهج الحوار والرد والمجادلة([2]):

عرف الفكر الإسلامي فى وقت مبكر هذا النوع من الدراسة للأديان، واتخذ أشكالاً أو اتجاهات متعددة.

([1]) انظر: المرجع السابق ص٤٦ وما بعدها .

([2]) انظر: المرجع السابق ص٤٨ وما بعدها .

منها: شكل المناظرات الحية، التى كانت تتم فى مجالس عامة أو خاصة بين علماء مسلمين وغير مسلمين من أصحاب الملل المختلفة، وقد كان هذا الشكل مناسباً لطبيعة ذلك العصر وإمكانياته المتاحة ورغبة الناس آنئذ، ولا ريب أن فى ذلك آية على سماحة الإسلام وأهله.

ولقد سجل تاريخ الفكر الإسلامى نوعاً آخر من الحوار بين علماء الإسلام وعلماء الأديان الأخرى، وقد كان مكتوباً فى رسائل أو فى كتب؛ ويمكننا أن نشير فى هذا الصدد إلى رسالة راهب كلونى Cluny فى جنوب فرنسا إلى أمير سرقسطة فى الأندلس، وجواب القاضى أبى الوليد الباجى عليها.

وهناك نوع ثالث من هذه الردود يتمثل فى تلك الدراسات الجدلية التى خصصها كتابها للرد على قضية أو مسألة بعينها أو أكثر فى ديانة مثل كتاب أبى عيس الوراق (الرد على فرق النصارى الثلاث)، ورسائل الجاحظ (المختار فى الرد على النصارى) .

ومن الكتابة الجدلية كذلك تلك الروائع التى دونها المهتدون إلى الإسلام من علماء اليهود والنصارى؛ مثل كتابى على بن ربن الطبرى "الدين والدولة" و "الرد على فرق النصارى"، والحسن بن أيوب فى رسالته إلى أخيه على بن أيوب.

المبحث الثالث

الأديان الأخرى غير السماوية

تمهيد:

قبل التعرض للأديان السماوية ومقام العقيدة فيها، آثرت التعرض لبعض الأديان القديمة التى لم يرسل بها نبى أو رسول، والتى لم يوصى بها من السماء وذلك لكى نتبين الوضوح التام والنقاء الفطرى الذى فطر عليه الإنسان من توحيد لله وعدم الشرك به، لولا أن دخلت بعد ذلك الأديان فى طور الانحدار وما أحدثه الكهنة والقواد الروحانيون من بدع ورموز وطقوس حولت العبادة فيها إلى شرك وإشراك.

ومن أهم الديانات التى نتعرض لها([1]):

١- الديانة البرهمية.

٢- الديانة البوذية

٣- ديانة قدماء المصريين.

٤- الديانة الصينية الكنفوشيوسية.

٥- ديانة الكلدانيين.

٦- الديانة الفارسية.

٧- الديانة المجوسية .

٨- الديانة اليونانية.

٩- ديانة الرومان.

([1]) انظر: الأديان في كنز الميزان، محمد فؤاد الهاشمي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١١ وما بعدها.

وبعد أن نوفى الغرض المقصود من تلك الديانات، نخرج منها إلى الديانات السماوية المشهورة كالديانة اليهودية والديانة المسيحية والدين الإسلامي. وليس المقصود من التعرض لتلك الديانات إلا الحصول على ما يوصلنا إلى الغرض المقصود من هذا الكتاب

٣/١ : الديانة البرهمية([1])

الله: جاء فى أحد فصول الفيدا ذكر الإله واسمه (برهما سباتي) حسب ما هو مكتوب باللغة السنسكريتية القديمة ومعناه "رب الصلاة" مجيب الدعاء، المتصرف فى ملكوته السماوى والأرض إله حق.

إذن فالله عند قدماء البراهمة واحد لا شريك له سرى منه الروح فى جميع الكائنات من جماد ونبات وحيوان، وقد ورد ما يؤيد ذلك فى أسفار الفيدا وما ترجمته :أنا الله نور الشمس، ضوء القمر، بريق اللهب، وميض اللهب، صوت الريح، أنا الأصل القديم لجميع الكائنات، منى الحياة لكل الوجود، معطى الصلاح، أول، آخر، حياة، موت، لكل مخلوق حى".

عقيدة البرهمة:

وتتلخص عقائد البراهمة فى بنود تدل على وحدانية الله، وهذه هى البنود المهمة فى الموضوع.

١- اسم الإله الظاهرى (برهما سباتي) والاسم الخفي (زيوس).

([1]) انظر: المرجع السابق، ص١٢ وما بعدها.

٢- الإله هو الأصل الأزلى الذى يستمد منه كل شيء وجوده، لا تدركه الحواس وقد يدرك العقل بعض صفاته.

٣- إن الإنسان حركة متغيرة مستمدة، وروحه قبس من نور الله انفصل عنه إلى أجل ينتهى، ثم تعود إليه بعد انتهاء الأجل، وذلك كالبخار الذى يصعد إلى السماء ثم يعود إلى الأرض أمطار تجرى فى الأرض أنهاراً.

٤- غاية كل إنسان فى الحياة الاتصال بالله والرجوع إليه.

كتب الديانات البرهمية:

وكل هذه العقائد مكتوبة فى كتاب الفيدا المقدس الذى لم يعرف حتى الآن بدء كتابة أسفاره، وإنما المحقق أن هذه الأسفار أقدم من التوراة، وتتألف أسفار الفيدا من أربعة أسفار هى:

(I) الريجا فيدا

(II) الساما فيدا

(III) الباجورا فيدا

(IV) الألمارا فيدا

وكتب أخرى مفسرة تسمى (دماندرا ماسترا) أى كتب الشريعة وكل التعاليم الدينية فى أسفار الفيدا على غاية من البساطة دون تعقيد وتدعو جميعها إلى توحيد الله

فلاسفة وكهنة الديانة البرهمية:

وأهم من تعرضوا لشرح أسفار الفيدا الفيلسوف الهندى "مانو" الذى قال عن الإله إنه كائن بنفسه لا تصيبه الحواس المادية، بل يعلم بالروح فقط، و"كلوكا" الكاهن والفيلسوف، وهو أشهر

مفسرى الفيدا القائل: "إن المشتركين فـــى الأســـرار مـــع تقـــديمهم القرابين لبعض قوى الطبيعة المتعددة لم يكونوا معتقدين إلا بـــرب واحد هو نبع كل عدل وحكمة، المدبر الكل، والمرتب لنظام الكون، ولا اسم له إلا المستحق العبادة برهما" ، ومن الفلاسفة المـــصلحين "كرشنا" وكان من تعاليمه "أن الجسد زائل، إنما النفس الخفية عـــن النظر سرمدية"

تعاليم الديانة البرهمية:

أهم التعاليم فى الأديان البرهمية القديمة تتلخص فى الوصايا العشر للدين للبرهمى وهى:

١- الكائن الإلهى
٢- مقابلة الإساءة بالإحسان
٣- القناعة
٤- الاستقامة
٥- الطهارة
٦- كبح جماع النفس
٧- معرفة الفيدا
٨- اجتناب الغضب
٩- الصبر
١٠- الصدق

وأما ذبح الحيوانات وتحريم ذبح بعضها وغيـــر ذلـــك مـــن الإضافات، فلم تظهر إلا بعد زمن بعيد حـــين وضـــعت الطقـــوس

وتزايدت الرتب الكهنوتية، ففرضت علـــى الـــشعب ذبـــح بعـــض الحيوانات وتقديس بعضها أو تحريم أكل اللحوم بتاتاً.

انحدار الديانة البرهمية:

انحدرت الديانة الهندية عندما كثر الكهنة الذين جعلوا للديانة أسرارا خفية وأسرار ظاهرة، فكثرت الرموز والطقوس والشعائر، ومن هنا نشأ ما لم يكن أصلاً فى الديانة البرهمية، فنـــشأ الثـــالوث الهندى المعروف وهو (برهما – فشنو – شيفا).

فقد كانت العبادة فى الديانة الهندية القديمـــة قاصـــرة علـــى أناشيد "الريجا فيدا" أقدم أسفار الفيدا، وكان الهنـــود لا يعرفـــون إلا إلهاً واحداً تحت إرشاد الحكماء المخلصين، ثم ظهر الكهنـــة علـــى مسرح الحياة فابتدعوا من الأسماء والمسميات ما لم يكن له أصـــل فى كتب الفيدا، بل تعدوا وغيروا بعض معانى الفيـــدا، ولنـــضرب مثلا على ذلك أن كلمة "ورترا" المستعملة فى كتب الفيدا المقدســـة وكانت ترمز إلى الروح الموكلة بالرياح الثـــائرة الهوجـــاء، فقـــد أطلقوها وأحلوا محلها كلمة"شيفا" التى وردت فى الثالوث الهندى.

ومن هنا يمكن أن يكون اليقين أن الثالوث الهندى بدعه مـــن مبدعات الكهنة وأصبح بدل الإله الواحد آلهة ثلاثة وأصبح الثالوث "برهما فشنو شيفا" على اعتبار أن فشنو وشيفا إلهان وقوتان نـــشأتا عن برهما، وقد فسروا الثالوث الهندى أن برهما هو الإله الخـــالق، فيشنو هو القوة الحافظة، أو الإله الحامى للخليفة، وشيفا القوة التـــى تغنى وتعيد وتحول.

التعبد الحالى عند البراهمة:

اتسع نفوذ الكهنة فأنشأوا الامتيازات والاختصاصات ووضعوا نظام الطبقات التى نشير إليها دون تناولها بالشرح، والطبقات عند الهنود أربع تقل الواحدة عن الأخرى فى المنزلة حسب الترتيب، فجعلوا أرقى الطبقات احتراماً وتجلة ومنحها الامتيازات التى لا يحق لغيرها المشاركة فى تلك الامتيازات طبقة البرهماتمان، وهم الكهنة والعلماء، ثم يليها فىالمنزلة طبقة الخاترباس وهم رجال الحرب وحماة الأوطان، ثم يليها بعد ذلك طبقة البانيان وهم الزراع والتجار ودنيا الطبقات هى طبقة السودراس وهم أرباب الحرف والمهن الدنيئة وهم المنبوذون.

وقد قصر الكهنة على أنفسهم وعلى المشتركين فى الأسرار "تلاميذهم" معرفة الحقائق العلوية وتوحيد الله وستروا الحقائق عن الشعب، مما جعل الناس تلجأ إلى الشرك وتعدد الآلهة، مما أوجد فى نفوسهم اليأس من الخلاص فى حياتهم الحاضرة أو المستقبلة، حيث تعلم الهندى أن خلود الروح غير مدرك إلا أن تصل إلى درجة النقاء، ولذا يكلف البرهمى نفسه أنواع الشدائد والجهد فى العبادة فى حياته بما فوق طاقته، لكى يكفر عما وقع منه عن معاصى، أو عما سيقع منه من ذنوب مقبلة، وهو دائم الكآبة والخوف، كثير الهموم، لا أمل له حتى فى الموت؛ لأن الموت نفسه فى نظره ليس مخلصا من الحياة المقبلة.

٢/٣ : الديانة البوذية([1]):

قبل الاستطراد فى التحدث عن الديانة البوذية، يجب أن نوضح أنه قبل ظهور الديانات الهندية، وأقدمها ديانة البراهمة كانت هناك ديانات سماوية ودعوات ربانية أتى بها أنبياء من قبل الله عز وجل أمثال شيث وإدريس عليهما السلام، ولما طال الأمد على القوم تعرضوا لتيارات مختلفة وعديدة حتى جاءت الديانة البرهمية، فساروا عليها وآمنوا بها حتى بدأ الانحراف الكهنوتى عن مبادىء تلك الديانة وكثرت المذاهب فى الهند وانتشرت الآراء وتعددت، فانحرف اتباع البرهمية إلى الوثنية وعبادة التماثيل وساروا خلف كل بدعة، وبذلك كثرت الشيع وكثرت أتباع كل شيعة، وفقد البراهمة روح ديانتهم ونسوها، وانجرف الهنود انجرافاً خطيراً مع التيار حتى وصلوا إلى أخطر مراحل الوثنية حتى ظهر "ساكيامونى" أو سيزارا ساجوتاما، المشهور باسم "بوذا" بدينة المبتدع.

والحقيقة البوذية ليست فى نفسها ديانة سماوية أو دين وضعى ولكنها مذهب فلسفى مشتق من الديانة البرهمية مع إدخال تعديلات لبعض القواعد.

تاريخ بوذا:

ولد جوتاما مؤسس المذهب البوذى فى منتصف السنة الستمائة قبل الميلاد وكان أبوه أمير يسمى "كابيلا فاستو" وسمى "سيزاراسا" أو ساكيا موتى جوتاما وإسم ساكيا موتى يعطى معنى

([1]) انظر: المرجع السابق، ص١٦، وما بعدها.

"المتبتل من عائلة ساكيا" وعاش عيشة ناعمه وتـــزوج فـــى ســـن التاسعة عشر.

كانت آمال جوتاما متجهة من صـــغره إلـــى التكمـــل فـــى الأخلاق والعادات، ولما بلغ التاسعة والعشرين مـــن عمـــره وأخـــذ يتأمل فى حالة بنى قومه وما وصلوا إليه من الذلة والمسكنة نتيجـــة نظام الطبقات الذى أحدثه كهنة البراهمة، بغية إبقاء الـــشعب علـــى حال من الجهل والغفلة ليتوصلوا بهذه الوســـائل للأمـــساك بزمـــام الشعب والاستعلاء عليه من كل ناحيـــة، ممـــا أدى إلـــى انحطـــاط الشعب الهندى فعكف على عبادة الأشخاص والتماثيل والحيوانات.

فكر جوتاما وظل يفكر حتى زهد فى العظمة الدنيوية ومجد العالم الزائل، وكرهت نفسه ملذات الحياة، ومن هذا التفكير بـــدأت رغبته تبدو جلية فى الإصلاح، فغادر بلاط أبيه وترك ناعم الفراش ورغد العيش بعد أن زهد فى الحياة الدنيوية وخرج تاركاً زوجتـــه وبيته غير مفكر ولا ميال إلا لما عزم عليه، فقد خرج إلى الجبـــال والأحراش الكثيفة المليئة بالوحوش التى لم ترهبـــه، بـــل انـــزوى يستهدى الفكر ويهذب الروح، ويستطلع الغيب، ويصهر جسمه الذى أخذ على النعومة فى بوتقة الشقاء الجسمانى والرياضة الروحية.

تجلى الوحى لبوذا:

ويروى أنه بينما كان "جوتاما"جالسا فى ليلة من الليالى تحت ظل شجرة تين، تجلى له النور وانكشف عنه الغطاء، وعرف كثيراً من الأسرار، وبذلك أطلق عليه لقب "بـــوذا" أى العـــالم المـــستنير، وعاد إلى الناس بعد أن قضى ستة عشر سنة يسرح بالفكر ويتأمـــل

فى الكون وفى الملكوت، عاد بمذهبه وبدأ ينشر دعوتـــه ومبادئـــه على الشعب، وتبعه أتباع كثيرون آمنو بمذهبـــه ومبادئـــه، وظـــل أتباعه وتلاميذه متمسكين بدعوته حتى مات فى الثمانين من عمـــره وأحرق جسده.

عقائد الديانة البوذية:

الديانة البوذية لا تشير إلى إله خالق سوى "النرفانا" والنرفانا معناها الإطلاق الطبيعى أو المتسامى أو بوذا نفسه، ولم تتكلم عـــن إله صراحة بخلاف الديانة البرهمية التى تقول أن هناك إلـــه بـــل بوحدة ذلك الإله.

والذى لا يمكن إنكاره أن بوذا نفسه لم يدع يوما أنه إلـــه أو ابن إله أو ابن آلهة، ولكن مبالغة أتباعه هى التى جعلت من بـــوذا إلهاً، ومن مذهبه الفلسفى والإصلاحى ديناً، وهذه المبالغـــة قـــادتهم إلى الشرك والكفر، وذلك ظاهر فى عبـــادتهم لـــبعض الحيوانـــات وتقديسهم إياها، والتغنى بمجدها واستجلاب مددها وتحريم ذبحهـــا تحريما أساسيا والسجود لها فى كل لحظة، وقد نـــشرت الـــصحف العالمية أنباء المذابح التى كانت تحدث نتيجة ذبح هذه الحيوانات.

تعاليم الديانة البوذية:

وتتلخص التعاليم البوذية الظاهرة للكهنة، والخفية عن الاتباع إلا التلاميذ المشتركين فى الأسرار فيما يأتى:-

١- لا فرق بين جسم الأمير وجسم المتسول الفقير، إذن لا فرق بين روحيهما، فكل منهما مستعد لإدراك الحقيقة والانتفـــاع بها.

٢- يدعوا بوذا إلى سلوك العمر الأوسط بين التلذذ والزهد الخالص فى الدنيا.

٣- للعمر الأوسط ثمانى شعب هى: - النظر الصحيح، واللفظ الصحيح، والإلهام الصحيح، والسير الصحيح، والحياة الصحيحة، والجهد الصحيح، والسرور الصحيح.

ويضع بوذا للحقيقة أركانا أربعة هى:

١- الرغبة غير المدركة تؤلم.

٢- الشهوة أصل الألم.

٣- لاستقبال الألم يجب نبذ الرغبة.

٤- لأجل منع الألم يقتضى اتباع الممر الأوسط.

ولا يوجد فى تعاليم بوذا شيء عن الله أو عن تقديم ذبائح أو قرابين أو شعائر تعبدية، فقد اهتم بنشر المحبة والإشارة إلى الألم، ومن أهم معتقداته أنه لا يسلم بفكرة الخلود فى الوقت الذى يقول بمذهب التقمص، ويؤمن أتباع بوذا بما يسمونه "كرما" أن الرغبة تنتقل فى الحياة الأخرى من شخص لآخر كما كان بوذا يلقى بتعاليمه شفاهاً، مع أن الكتابة كانت معروفة، وقد جمع تلاميذه أقواله من أفواه المتحدثين والرواة والمؤرخين وكتبت كلها بلغة "بالى" لأن اللغة السنسكريتية كانت قد انقرضت، واتخذ التلاميذ والأتباع هذه الروايات المنقولة كتبا دينية لها القداسة والحرمة المعطاه لكتب الفيدا عند البراهمة حتى أن الفيدا بأسفارها لم تعد لها عند أتباع بوذا أى مرتبة من السمو الروحى.

قواعد الديانة البوذية:

وتقوم الديانة البوذية على دعائم تعتبر القواعد الأساسية للديانة، والأركان التى تعتبر خطوطا عريضة يتخذ منها التفسيرات والشروح، بحيث لا تخرج تلك الشروح والتفاسير عن هذه الدعائم، **والدعائم الأساسية هى:-**

١- الألم من لوازم الوجود.

٢- الرجوع إلى هذه الدنيا مرة أخرى سببه اتباع الشهوات والنقائص فى الحياة السابقة "عقيدة التناسخ".

٣- الخلاص من الشرور والنقائص هو الوسيلة الوحيدة للنجاة من العودة للأرض فى تقمص جديد بعد الموت.

٤- التخلص من العقبات التى توقف حركة الخلاص من الشهوات.

٥- التسامح والطيبة والشفقة والحب ولين الجانب، والإقلاع عن الرغبات الباهظة والإضراب عن الضروريات الهامة، وأشدها درجات الزهد فى الحياة نفسها متى كانت مبذولة فى سبيل تخليص الغير.

٦- الإغراق فى الانكماش والترهب.

وبهذه القواعد والأسس يمكن للإنسان المطبق لها تطبيقاً صحيحاً أن يصل إلى "النرفانا" والنرفانا فى عرف البوذيين عبارة عن بلوغ النفس الكمال الأسمى وانطلاقها من أسر المادة، واجتماعها الإدبى بالنرفانا وهى الكمال المطلق الغير محدود أو الذى لا يمكن وصفه إلا لمن انكشف له الأسرار وكشف عن

بصيرته الحجاب فتراءى له بوذا نفسه، ومعنى ذلك أن يفنى المؤمن فى الروحانية البوذية المطلقة الكاملة.

ومع ما نرى فيه من بعض المبالغة، إلا أننا نقول إن الديانة البوذية تدعو إلى المحبة، وما نراه من انحرافها الفلسفى الذى لا يتفق مع العقل أحيانا فنقول أنه خير من النظم والقوانين التى يسير عليها أتباع بوذا اليوم وما ابتدعوه من الشرك والوثنية، والخضوع للنواميس الكهنوتية، وألعاب السحر والشعوذة التى جعلها الأتباع من أهم إسرار الديانة البوذية.

٣/٣ الديانة المصرية القديمة([1])

أكتشف العلماء فى القرن التاسع عشر الميلادى حقيقة المصريين ودينهم وشرائعهم ومدينتهم وتقاليدهم وعاداتهم وآدابهم، وذلك بفضل ما عثروا عليه من الوثائق التاريخية التى وجدت مكتوبة على أوراق البردى، ومن الكتابات والنقوش التى وجدت على واجهات المعابد والهياكل والقبور والمسلات والأعمدة وأغطية التوابيت وداخل التوابيت.

وما جاء فى مذكرات العالم الأثرى مانيتون يؤكد أن هنـــاك أنبياء ورسلاً أرسلوا إلى مصر، وأن الأنبياء الذين بشروا برسالات الله فى مصر، هم الذين دعوا الناس فى الهند وفى قارة آســيا إلـــى عبادة الله وتوحيده وعدم الإشراك به، ولكنهم يقولون إن الدعوة فى مصر سبقت الدعوة فى الهند، وأن نبي المصريين هو إدريس عليه السلام، وأنه هو الذى انتقل إلى الهند فبشر برسالته.

إدريس عليه السلام:

وما جاء فى كتب المؤرخين عن إدريس عليه السلام يـــروى أنه ولد بمدينة "إدفو" حيث هبط أهله الذين كانوا يسكنون بسابل ثم رحلوا إلى مصر وأنه كان يسمى "جوروس" وقيل إن إدريس هـــو "خانوخ" باللغة العبرية الذى أطلق عليه باللغـــة العربيـــة "أخنـــوخ" وسمى فى اللغة الهيروغليفية "خوروس" أو "هوروس" وعرف فـــى اللغة اليونانية باسم "هرماكيس" ثم عرف باســـم "هـــرمس" وســـماه البطالمة فيما بعد "أغثاذى مون" المصرى، وسمى فى الكتب المنزلة

([1]) انظر: المرجع السابق ص٢٨ وما بعدها .

"إدريس" ونسبة هو إدريس مهائيل بن قينان بن آنوس بن شيث ابن آدم عليهم السلام، وقد ذكر المؤرخون أن مدة حياته كانــت اثنــين وثمانين سنة، عاش خلالها يدعوا الناس إلــى عبــادة الله وتوحيــده وتنزيهه عن كل شرك، كما دعا إلــى الزهــد والمحبــة والعــدل، والإحسان، وكان قربانه البقول والذبائح وأنه أول من عرف العلــوم الكونية والجيولوجيا والرياضيات وكثيرا من لغــات أهــل الأرض، حتى قيل عنه أن كان يملك من الأسرار والمواهــب التــى كانــت تؤهله لأن يكون الداعى المجاب، حيث كان يحدث كل قوم بلغــاتهم ولهجاتهم، مما جعل الناس تأنس إليه وتلتف حوله.

تعاليم إدريس عليه السلام:

وقد عرفت تعاليم إدريس عليه الــسلام مــن الآثــار التــى اكتشفت وأخصها خاتمه الذى كان يتمنطق به، ومن أقوالــه التــى وجدت مكتوبة على ورق البردى، الذى سرقه الأجانــب ووزعــوه على المتاحف ودور الآثار فى أوروبا، فقــد وجــد مكتوبــاً علــى خاتمه"الصبر والإيمان بالله يرثان الظفر" كما وجد على حزامه حكم بالغة ودروس قيمة منها "حفظ فروض الشريعة من تمــام الــدين، وتمام الدين من كمال المروءة، والمــروءة خاصــة مــن خــواص الإنسان المتقى" وقد عثر ضمن آثاره على فراش كان يصلى عليــه مصنوعا من الحصير، وكان مكتوباً على ذلك الفراش "السعيد مــن نظر نفسه فى مرآة صلاته وعبادته" كما كان من أقوالــه المــأثورة "حياة النفس فى الحكمة، ومواتها فى الجهل".

عقائد المصريين قبل الكهنة:

كانت عقائد المصريين بادىء ذى بدء هى العقائد التوحيديـــة التى دعا إليها نبي الله إدريس عليه السلام، وعرفوا أن الله واحد لا شريك له فى الذات والصفات كما كانت عبادتهم خالصة تتمثل فـــى الرهبة والاحترام والخوف والطاعة، يؤمنـــون أن الله قـــديم أزلـــى خالق لا بداية له ولا نهاية، يفنى ولا يفنى، كل شىء زائـــل وهـــو باقى، وعرفوه باسم آتون، وجعلوا لهذا اسم معنيين: أحدهما ظاهر، والآخر خفى، كما أعطوا الاسم الظاهر معنى أنه إذا ظهر بمثالـــه النورانى "الشمس" سمى آمون، وأما الاسم الخفى فهو الذى قام بـــه كل الوجود، يوهب العطايا، ويعطى ويأخذ، وبذلك سمى "رع" ومن هنا كان اسما "آمون – رع".

وقد جاء فى مؤلف للعلامة "ماسبيرو" وهو أســتاذ فرنـــسي "وكان إله المصريين الأول عالماً بصيراً يدرك ولا يدرك، موجوداً بنفسه، حياً بنفسه، حاكماً بنفسه، حاكماً فى الأرض والسموات، فهو أب الآباء، وأم الأمهات، لا يفنى ولا يغيب، يملأ الدنيا ولـــيس لـــه شبيه ولا حد، ويوجد فى كل مكان". وقد وجد أيـــضاً فـــى هيكـــل إيزيس بصا الحجر نقش قديم يتضمن كلمات منسوبة للإله جاء فيها "أنا كل شىء كان، وكل شىء كائن، وكل شىء ســيكون، ومحـــال على من يفنى أن يزيل النقاب الذى تنقب به وجه من لا يفنى".

وقد كان قدماء المصريين فى أناشيدهم يترنمون باســـم إلـــه واحد، وينشدون للخالق المصور الذى له الأسماء الحـــسنى الـــذى خلق للإنسان عينين وهداه النجدين ووهب له أذنـــين ليـــسمع بهمـــا أناشيد ذلك الإله الذى استطاع الإنسان أن يبصر قدرته، معترفاً بأنه

مولاه ولا مولى له إلا الله، وقد ورد فى بعض الأناشيد والأدعية الواردة فى كتب المصريين: "يا مولاى ويا سيدى إنك خلقتنى وصورتنى وجعلت لى عيناً أبصر بها آثار قدرتك وآذاناً أسمع بها أناشيد تقديسك".

دور الكهنة وانحراف الديانة المصرية:

وبنفس الطريقة التى انحدرت بها الديانة البرهمية، وفى نفس الطريق الذى سار فيه الكهنة البراهمة، وبنفس الأسلوب انحرف الكهنة المصريون واتخذوا من صفات الله ثالوثا، وكما اتخذ البراهمة الثالوث "برهما وفيشنو وسيفا" اتخذ المصريون من صفات الله وهى "الوجود والحكمة والحياة" الثالوث "آتون ورع وآمون".

وما زال المصريون يستحدثون على مر السنين أسماء وآلهة، حتى صار الثالوث تاسوعاً غير آلهة ثانوية منسوبة إلى هذا التاسوع، وظلت الديانة المصرية تتطور وتنحرف حتى وصلت إلى عبادة النار والنجوم والكواكب وما إلى ذلك من الظواهر الطبيعية التى تاه فى عرفها وكنهها المصريون، وإن كانت عبادة الظواهر الطبيعية حفزت عبادها على أن يكتشفوا أسرارها مما خدم العلم والعلماء، وكشف كثيرا من الأسرار التى أصبحت فيما بعد من الركائز الثابتة والقواعد الأساسية فى علوم الفلك والجيولوجيا والرياضيات.

وإذا كان المصرى القديم قد انحرف فى عبادته، تحت تأثير التعاليم المبتدعة، وأهم التعاليم تعدد الآلهة، وخير دليل هو التاسوع المصرى الذى أشرنا إليه، والتاسوع عبارة عن الثالوث الأول

"آتون ورع وآمون" واشتق منه الثالوث الثاني "تيت – نوت – شو " ثم جاء الثالوث الخير من التاسوع "إيزيس وأوزوريس وسيت" ثـم كانت آلهة ثانوية نذكر منهـا ثمانيـة هـي :هـاتور أو هنريـت ونيسيرتشر وبوناشيت وتنجيت وتوت ومعت وبتاح ونيفون" وإليـك التاسوع المصرى وصفة كل إله ووظيفته.

١- آتوم أوآتون × الإله الذى لا يظهر إلا بصفاته وهـو نـور النوار.

٢- رع × الذى تشخص فيه النور فـصار عطـاء وخلقـا "الخلق والرزق".

٣- آمون ×ظهور القدرة المشرقة فى الشمس وهو مظهـر رع الذى يوصل عطاءه إلى المخلوقات، وفى النهاية صار تمثالا لطيبه.

٤- نيت ×الأثير العام.

٥- نون ×السماء بأفلاكها وكواكبها والهيولة العامة.

٦- شو ×الجو أو الموجات الكهربائية الموجبة ويـشتق منـه الإله "تفنوت" وهى الموجات السالبة" وهذا يعطى نفس معنى فشنو عند البراهمة".

٧- إيزيس ×بمعنى الحياة أو الروح.

٨- أوزوريس×بمعنى النماء والازدهار، وهذا الإله هـو الـذى سيحاسب الموتي.

٩- سيت ×المدمر أو الفناء.

وأما عن الآلهة الثمانية الثانوية، فنذكرها مع صفاتها ووظيفتها:

١- هاتور أو هتريت - إله الطبيعة.

٢- تيسير تشر - إله النظام والقوانين.

٣- يوتاشيت - إله الفيض الشمس.

٤- تحييت - إله الأطياف الأنعكاسية.

٥- شوت - إله العلم فى معناه العام.

٦- معت - إله الحكمة.

٧- بتاح -إله القدر.

٨- تيفون - إله الشر.

وكانت صلاة المصريين الذين انحرفوا، موجهة إلى التاسوع المصرى وكانت دعواتهم وأناشيدهم تنادى قوى الطبيعة على أنها آلهة، وقد كانت تلك الصلوات تصدر منهم تقرباً للتماثيل الرمزية التى أقيمت لآتون ورع وآمون فى طيبة من أهم ظواهر الشرك والوثنية، حيث ظن المصريون المتأخرون الذين أعقبوا حكم الكهنة، أن تلك التماثيل الرمزية آلهة مختلفة فعبدوها، وتعددت الآلهة وصارت المدن مليئة بتلك الآلهة، وكانت لكل مدينة آلهتها التى تقدسها دون الآلهة الأخرى، فقد كان موطن "أزوريس" فى أبيدوس و "فتاح" فى منفيس و "آمون" فى طيبة، و"هوروس" فى إدفو و "هاتور" فى دندرة. وكانت مدينة طيبة دون سائر المدن مملوءة بالمعابد والتماثيل، حتى قام أخناتون بثورته المشهورة لتوحيد الآله وعبادة إله واحد بعد الآلهة المتعددة، والتى كاد أن يكتب لها النصر، لولا قيام الكهنة فى وجهه.

وهكذا ظلت الديانة المصرية تنتقل من طور إلى طور آخر تنازلياً، فتطورت من عبادة إله واحد ثم عبادة آلهة ثلاثة ثـم آلهـة تسعة، ثم تطور التاسوع إلى ضعف عدده ثم ظل عدد الآلهة يأخـذ فى الازدياد حتى بلغ ما يقرب من المائة، بين اسم لفلـك وصـفه لكوكب، وعظمة لظاهرة طبيعية، وتقديس لطير أو حيوان، وكثيـراً ما كانت بعض المدن تعبد ملوكها على أنها آلهة، وكـانوا يقيمـون لهم الصلوات ويقدمون لهم القرابين ويرفعون إليهم البخور، وظـل المصريون على حالتهم من الوثنية والشرك حتـى هـاجم الفـرس واليونان مصر وأغاروا عليها، فهدموا المعابد وخربـوا الهياكـل، وحطموا التماثيل ، وحاربوا الكهنة أينمـا كـانوا، وعنـدما افتـتح الرومان مصر هدموا بقية الهياكل وأزالـوا كثيـراً مـن المعابـد، وأبطلوا كثيراً من العبادة، وكانت الخاتمـة أن أمـر الأمبراطـور "تيودور" الرومانى بإبطال الديانـة المـصرية القديمـة، واعتبـار النصرانية ديناً لمصر.

٤/٣ : الديانة الصينية والكنفوشيوسية([1])

قديماً قال الصينيون أن إله السماء كائن عظيم محب للخير، ويكره الشر ويجازى الناس بأعمالهم، كما أنهم كانوا لا يؤمنون بوجود أى قوى خبيثة فى هذا العالم،ثم جاء طور التغيير الفكرى تحت إيحاء التخريج والتغيير، وبمرورالأيام وتداول الأعوام، تغيرت الأفكار فأضافوا إلى هذا الإله الواحد كثيرا من مظاهر الطبيعة،كالشمس والقمر والكواكب والنجوم والأرض، وما عليها من جبال وتلال، وما يجرى فيها من بحار وأنهار، ثم تطورت معتقداتهم فاعتقدوا بوجود كائنات روحية تسكن البيوت، وأن تلك الأرواح لها قدرة على النفع والضرر، فقدموا لها القرابين، كما كانوا يعبدون أرواح أسلافهم، وتحول الإله العظيم الواحد إلى آلهة متعددة.

كنفوشيوس:

ولد سنة ٥٥١ قبل الميلاد فى مقاطعة "لو" من أعمال ولاية شانتنج، وكان منذ صباه مغرماً بتقليد الكهنة فى تقديم القرابين، وإقامة الشعائر الدينية، ولما كبر أثر فى حياته ما شب عليه فى صغره فقد تولى أعمالاً كثيرة فى الحكومة ثم عمل مدرساً، ومن وحى التدريس وحبه للإلقاء والتلقين نشأ عنده التفكير والتأمل، وخرج على الناس بمذهبه الذى ضمنه تعاليمه وآراءه، ووضع له الأسس والمبادىء التى دان لها واعتقدها وآمن بها كثير من أهل

([1]) انظر المرجع السابق ص٢٧ وما بعدها .

الصين، وقد عمل من ولاية إلى ولاية يبشر بهذا المذهب حتى مات فى سن الثالثة والسبعين.

مذهب كنفوشيوس:

وجد كنفوشيوس قومه غارقين فى بحر من الأوهام، عاكفين على التفكير فى عالم الأرواح، والتأمل فى ذات الإله مضيعين الوقت فى البحث عن صفات الملائكة والجند، منقبين عن الحياة المقبلة بعد الموت، جل همهم تقديم القرابين وإقامة الشعائر الدينية لإرضاء أرواح أسلافهم، باحثين عما يرضى قوى الطبيعة عنهم، فالسماء لا تمطر لأن إلهها غاضب، والكواكب لا تظهر لأنها غير راضية، والشمس فى كسوف لأن أهل الأرض عصاة، وبهذا انصرفوا عن الحياة انصرافاً تاماً، وأصبح الشعب متكاسلاً غاية التكاسل، مما نتج عنه وقوف عجلة الحياة، وخيم الجهل بالواجب والحق على الناس، فكسدت التجارة وتوقفت الأعمال العامة والخاصة، حتى أصبحت الحياة فى الصين أشبه ما تكون أشباحاً بلا روح تسيرها أو تدفعها.

فخرج عليهم كنفوشيوس بمذهبه، فدعا إلى معرفة كل إنسان ما عليه من واجبات، وماله من حقوق، وبين ماهية الفرد فى المجتمع، وواجبه نحو مجتمعه وحقه فى ذلك المجتمع، فرق بين العبادة والعمل، وجعل لإصلاح المجتمع أسساً، منها إصلاح الفرد هو إصلاح الأسرة، وصلاح الأسرة هو صلاح المجتمع، ودعا أهل الصين للعلم، كما بث فيهم روح الفضيلة والتآخى، والحب والطهر، والنقاء والصبر، والعزة والكرامة، والتزود من المعرفة. وكان يلقى

دروسه على هيئة محاضرات كلامية، فلم يكتب حرفاً واحداً، ولكن كان تلاميذه يجمعون ما يخرج من فيه من حكم، وبذلك أعتبر أكبر حكماء الصين ومؤسس الديانة الصينية، وأجمع الصينيون على عبادته وتقديس تعاليمه وحكمه وأصبحت الكتب التى تركها بعد موته والتى كتبت بخط تلاميذه كتباً مقدسة، لها من القداسة ما لأى كتب سماوية، حتى اعتبرت فيما بعد دستوراً للصين، وهذه الكتب ثلاثة هى:-

١- مختارات كنفوشيوس.

٢- تعاليم البالغين.

٣- الاعتدال.

عبادة الصينيين وعقائدهم:

مما تقدم يتبين لنا أن الصين كانت عبادتهم كلها تتلخص فى أن يقيموا الشعائر ويقدموا القرابين للإله الأعظم، وأرواح أسلافهم، وقوى الطبيعة المختلفة وهذا كان له أثره فى إقامة المعابد والهياكل، فقد كانت تبنى المعابد فى الصين على هيئة هيكل عظيم بداخله هياكل ثلاثة ترمز إلى مذابح ثلاثة، لكل معبود هيكل:-

١- مذبح الكواكب والأفلاك السماوية والأرضية. وهذا تقدم فيه القرابين للشمس والقمر والكواكب والنجوم والأرض والتلال والجبال والأنهار، وما إلى ذلك من قوة الطبيعة.

٢- مذبح الأرواح. حيث كانوا يعتقدون أن أرواح آبائهم وأجدادهم وملوكهم تهديهم فى تلك الحياة، وتقف معهم وقت الشدة والرخاء، فكانوا يقدمون القرابين لها فى هذا المذبح

زيادة فى إرضائها وليستهدونها فى أمورهم الحاضرة والمقبلة، ويطلبون منها السعادة فى حياتهم.

٣- مذبح الإله الأعظم: وهو خاص بعظيم السماء، وهذا المذبح أقدم المذابح وأعظمها وأكبرها، لا تجد حوله أصناماً أو تماثيل أو دمى لأنه مذبح الإله الغير منظور.

ويعتقد الصينيون فى عظيم السماء، أو الإله الغير منظور، أنه الرب العظيم ومالك الأكوان ذو الفضل غير المتناهى، ليس له مكان أو زمان، موجود فى كل الوجود، أينما توجه الإنسان فهو معه، حاضر لا يغيب، الإله الذى لا يحابى، بل يجود بلطفه ورعايته على الإنسان الفاضل، ويجب استعمال الرأفة الرحمة، وأنه يعتنى بالأرض، وحضوره فيها دائم وأن كان غير منظور وقد سموه "تى سز" أو "تى ين" ثم تطورت التسمية إلى "شانج تى".

وأعتقد أنه ليس بمستغرب على القارىء أن يعرف من وحى ما تقدم عن المذابح الثلاثة، أنه ولابد أن يكون هناك ثالوث إلهى على غرار الثالوث الهندى "برهما – فشنو – شيفا" فقد تحولت العبادة من كونها لإله السماء أو عظيم السماء الإله الغير منظور إلى أن أصبحت لثالوث وضعه فيلسوف صيني يدعى "فوفى".

الثالوث الصيني.

١- تى ين – أو الإله المجهول غير المنظور.
٢- تشانج – أرواح الآباء والحكماء والملوك.
٣- تى سن – الشمس والكواكب السيارة.

وكان المذبحان الأول والثاني المخصصين لعبادة الأقنــومين الأولين من الثالوث تقام حولها الأصنام والتماثيل التى ترمــز إلـــى صورة الآباء والحكماء والملوك كما كانت تقام التماثيل التى ترمــز إلى قوى الطبيعة، ومن ذلك أصبح الصينيون يعبدون الأصنام.

ومن الصين انتقلت هذه المبادىء إلى اليابان، حتى أصبحت العائلة المالكة فى اليابان آلهة، وأعظم الآلهة الامبراطور.

٣/٥ : الديانة الكلدانية([1])

كانت ديانة الكلدانيين ديانة مستوردة من الدول المجاورة، حيث كان الكلدانيون حلقة الاتصال بين مصر والفرس وفينيقيا واليونان، وقد اتخذوا عن المصريين عبادة الشمس وسائر النجوم، والكلدانيون هم معلموا الوثنية الحقيقية فى الشرق، وقد برعوا فى علم الفلك والسحر والشعوذة.

آلهة الكلدانيين:

جعل الكلدانيون لكل واحد من الكواكب السيارة صنماً، وأكبر الأصنام الذى كان يرمز إلى الشمس وهو المعتبر فى عرفهم أهم الآلهة وأكبر أصنامهم، ويمكن الإشارة إلى بعض آلهتهم:

١- بعل أو آمون إله الشمس.

٢- عشتروت أو إيزيس إله الجمال.

٣- هوروس أو تموز إله الخصب والنماء، ويقام له عيد فى شهر تموز (يوليو) من كل عام، وهذه الآلهة هى التى حطمها إبراهيم عليه السلام، وقصته معها معروفة ومشهورة.

٣/٦ : الديانة الفارسية (المجوسية)

عبد الفرس أول أمرهم قوى الطبيعة، وخصوصاً ذلك المخلوق العظيم (الشمس) الذى تجلى عليهم حتى رأوه فى السماء وأثبتوا له كثيراً من أوصاف الألوهية، فقالوا "إنه عالم بكل شىء،

([1]) انظر: المرجع السابق ص٣١ وما بعدها .

وأنه خير محض، وأنه أعظم الموجودات، وأنه نور أتـــى يـــشرق على العالم بنوره، وكان له كثير من الأعوان والشركاء وهم

الصديق وهو الضوء، وستة من الملائكة المقـــربين الـــذين يحملون العرش وآلاف من الموجودات التى تتمثـــل فـــى مظـــاهر الطبيعة

ثم تطورت عبادتهم إلى عبادة إلهين أحدهما يسمى "مزدا" أو "أهور مزدا" وهو إله الخير العـــالم بكـــل شـــىء، والإلـــه الثـــاني ويسمى"إهريمان" وهو إله الشر ثم تطورت العبادة إلـــى مجوســـية مطلقة.

٣/٧: عقائد المجوسية:

قسم المجوس أو الفرس العوامل المؤثرة فى تلك الحياة إلـــى قسمين هما الخير هو الذى طلب قوة مضادة لكى تظهر قوته فقدموا لإله الخير القرابين، ثم تطورت العبادة من عبادة النور إلى عبـــادة النار.

٣/٨ : الديانة اليونانية

القارىء لأشعار هومير، وهزيود المترجمة إلى سائر اللغات الحية يخرج منها بطبيعة آلهة اليونانين.

عقائد اليونانيين:

كان اليونانيون يؤمنون أن آلهتهم يأكلون ويشربون ويلعبون ويلهون، ويخوضون المعارك فيغلبون ويغلبون ويتألمون ويفرحـــون

ويحزنون ويتباغضون ويتحاسدون، فيحقدون، والويل لمن تعــرض لهم أو أغضبهم فإن غضبهم شديد، ولذلك حكم علـــى ســقراط أن يشرب السم، ومات شهيدا الجهر بالحقيقــة، لأنـــه أفــشى أســرار الوحدانية وخلود الروح، واعتبروه كافراً بالإلهة.

حكماء اليونان وفلاسفتهم :

وقد ظهر فى اليونان حكماء، لكل مــنهم مدرســة خاصــة أودعها فلسفة أمثال طاليس، وفيثاغورس، وسقراط، وأفلاطون، وقد ذهب هؤلاء الفلاسفة بتفكيرهم بعيداً فى استطلاع الحقيقة، ولكــنهم اختلفوا فى المشارب، فمنهم من تأثر بعلوم الكهنة، ومنهم من كــاد أن يجهر بالحقيقة التى كانت تلح فى الخروج إلى عالم الظهور لولا خوف الحكماء من أن يكون مصيرهم مصير سقراط.

٣/٩ : الديانة الرومانية

انتقلت الديانة اليونانية إلى الرومان، إلا أن مدارس الديانة الرومانية بنيت على الأخلاق، وإن كان اليونانيون قد ألهوا الأخلاق والفضائل، إلا أن الديانة الرومانية تغالت فى هذا الشأن، فقد كانت الديانة الرومانية لا تعرف إلهاً معيناً، ولم تعترف بوجود إله أو آلهة، إنما كان جل همهم أن يلقنوا أبنائهم الأخلاق والفضائل منذ نعومة أظفارهم، ويمكن أن يقال إن فلسفة الديانة الرومانية وليدة الفلسفة اليونانية .

المبحث الرابع

موجز لنقاط الاتفاق

بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى

يقصد بالأديان السماوية الأخرى – فى هذه الدراسة – ما اصطلح على تسميته بالديانة اليهودية والديانة المسيحية أو النصرانية. ولسوف يكون البحث فى نقاط الاتفاق بين هذه الأديان مقصورا على عرض ما فى الكتاب المقدس بعهدية القديم والجديد، والذى سوف نشير إليه باختصار بكلمة: الأسفار – وكما نجده فى القرآن، وما يتعلق بذلك من تفاسير وتعليقات.. وذلك فيما يتعلق بالموضوعات الأساسية التالية:

- **الإله**
- **الأنبياء**
- **من تعاليم الحياة اليومية**
- **البعث والجزاء فى الآخرة**

١-الله(١)

هو الإله الذى لا إله إلا هو:

إن الإسلام دين التوحيد الخالص، ولهذا فإن المسلم يعترف بصحة كل قول أو حديث يؤكد توحيد الله ويدعوا إليه. ومن أمثلة ذلك ما نجده فى الأسفار ويأتى مصداقاً لما يقرره القرآن.

ففى الوصية الأولى لموسى ولبنى إسرائيل : "أنا الرب إلهك. لا يكن لك آلهة أخرى أمامى. تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا

---

(١) انظر: الإسلام والأديان الأخرى، أحمد عبد الوهاب، مكتب وهبة القاهرة ١٩٩٨ ص٢٧ وما بعدها .

صورة ما.. لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأنى أنا الـــرب إلهــك إلـــه غيور – سفر الخروج ٢٠ : ٢ – ٥".

وفى الوحى إلى أشعياء : "قبلى لم يـــصور إلـــه وبعـــدى لا يكون. أنا أنا الرب وليس غيرى مخلص... أنا الأول وأنـــا الآخـــر ولا إله غيرى... أنا الله وليس آخـــر– ٤٣ : ١٠، ٤٤ : ٦ ، ٤٥ : ٢٢".

وفى أقوال المسيح وتعاليمه: "وهذه هى الحياة الأبدية: أن يعرفـــوك أنت الإله الحقيقى وحدك، ويسوع المسيح الذى أرســـلته – إنجيـــل يوحنا ١٧ : ٣ ".

"كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجـــداً بعـــضكم مـــن بعض. والمجد الذى من الإله الواحد لستم تطلبونه – إنجيل يوحنا ٥ : ٤٤".

"جاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحـــاورون فلمـــا رأى أنـــه أجابهم حسناً سأله : أية وصية هى أول الكل؟ فأجابه يـــسوع : إن أول كل الوصايا هى:

اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد. وتحب الرب إلهـــك من كل قلبك.. هذه هى الوصية الأولى. وثانية مثلهـــا هـــى تحـــب قريبك كنفسك.. فقال له الكاتب: جيداً يا معلم. بالحق قلـــت لأن الله واحد وليس آخر سواه.. فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قـــال لـــه: لست بعيداً عن ملكوت الله – إنجيل مرقس ١٢ : ٢٨ – ٣٤".

وفى رسائل تلاميذه: "أنت تؤمن أن الله واحد. حـــسنا تفعـــل والشياطين يؤمنون ويقشعرون. ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان

الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت – رسالة يعقوب ٢ : ١٩ –٢٠
."

وفى القرآن: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} [سورة الأنبياء : ٢٥]. {إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو، وسع كل شيء علماً} [سورة طه :٩٨]. {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً} [سورة الكهف: ١١٠].

ليس كمثله شيء على الإطلاق:

"ليس مثل الله.. الإله القديم – سفر التثنية ٣٣ : ٢٦"

"بمن تشبهون الله وأى شبه تعادلون به ؟!.... بمن تشبهونني وتسوونني وتمثلونني لنتشابه؟! سفر أشعياء ٤٠: ١٨ ، ٤٦ :٥٠".

"الله لم يره أحد قط – إنجيل يوحنا ١: ١٨".

"الذى لم يراه أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه – الرسالة الثانية إلى تيموثاوس٦:١٦ ".

{ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير} [سورة الشورى : ١١].

{لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير} [سورة الأنعام : ١٠٣].

هو الحى الذى لا يموت أبداً:

"أنا أنا هو وليس إله معى. أنا أميت وأحيى.. حى أنا إلى الأبد – سفر التثنية ٣٢ : ٣٩ – ٤٠".

"الذى وحده له عدم الموت – الرسالة الثانيـــة إلـــى تيموثـــاوس ٦: ١٦".

{وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده} [ســـورة الفرقـــان: ٥٨].

"الله لا إله إلا هو الحى القيوم} [سورة آل عمران: ٢].

{هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين} [سورة غـــافر : ٦٥].

٢-الأنبياء(١)

هم عباد الله المكرمون، اختصهم برحمته وجعل منهم حملـــة رسالاته إلى الناس، و "الله أعلم حيث يجعل رسالته"، وهذا بعض ما تقوله الكتب المقدسة فى كوكبة متميزة منهم.

نوح:

"كان نوح رجلاً باراً كاملاً فى أجياله. وسار نوح مـــع الله.. وقال الرب لنوح أخل أنت وجميع بنيك إلى الفلك. لأنى إياك رأيت باراً لدى فى هذا الجيل – سفر التكوين ٦: ٩ ، ٧ : ١ ".

وفى القرآن: {ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون* ونجيناه وأهله مـــن الكرب العظيم} [سورة الصافات : ٧٥ – ٧٦]. {سلام على نوح فى العالمين* إنا كذلك نجزى المحسنين* إنه مـــن عبادنـــا المـــؤمنين} [سورة الصافات : ٧٩ –٨١]. {إنه كان عبـــداً شـــكوراً} [ســـورة الإسراء : ٣]. {وقليل من عبادى الشكور} [سورة سبأ : ١٣].

موسى:

(١) انظر: المرجع السابق ص٣٠ وما بعدها .

"أما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميـــع النـــاس الذين على وجه الأرض...

نزل الرب فى عمود سحاب... ودعا هارون مـــريم.. فقـــال اسمعا كلامى. إن كان منكم نبى للرب فبالرؤيا استعلن له فى الحلـــم أكلمه. وأما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى كـــل بيتـــى – سفر العدد ١٢ : ٣ ، ٥ – ٧".

{وقال يا موسى إنى اصـــطفيتك علـــى النـــاس برســـالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الـــشاكرين} [ســـورة الأعـــراف : ١٤٤]. {وكلم الله موسى تكليماً} [سورة النساء : ١٦٤]. {سلام على موسى وهارون* إنا كذلك نجزى المحسنين* إنهمـــا مـــن عبادنـــا المؤمنين} [سورة الصافات: ١٢٠ – ١٢٢].

يحيى بن زكريا أو يوحنا المعمدان:

"قال له الملاك: لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قـــد ســـمعت وامرأتك اليصابات ستلد ابنا وتسميه يوحنا.. لأنه يكون عظيما أمام الرب، وخمراً ومسكراً لا يشرب. ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس. ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الـــرب إلههـــم. ويتقـــدم أمامه بروح إيليا – إنجيل لوقا ١ : ١١ – ١٧".

فلقد كان يوحنا هو الذى عمد المسيح فى ماء الأردن. "ولمـــا اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا. وإذا كان يـــصلى انفتحـــت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة.

ولما ابتدأ يسوع (دعوته) كان له ثلاثين سنة – إنجيل لوقا ٣ : ٢١ – ٢٢".

ولقد قال عنه المسيح للجموع: "ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبياً؟ نعم، أقول لكم وأفضل من نبى. فإن هذا هو الذى كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيىء طريقك قدامك.

الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان – إنجيل متى ١١ : ٨ – ١١".

{يا يحيى خذ الكتاب بقوة، وءاتيناه الحكم صبياً* وحناناً من لدنا وزكاة، وكان تقياً* وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً} [سورة مريم : ١٢ – ١٤].

المسيح عيسى بن مريم :

نكتفى هنا باستعراض بعض ما يقوله القرآن فى المسيح وأمه العذراء الطاهرة. فبالنسبة لمريم: {وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين*يا مريم اقنتي لربك واسجدى واركعى مع الراكعين} [سورة آل عمران : ٤٢ – ٤٣].

وبالنسبة لحملها العذري دون الاتصال برجل:{إذا قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين* ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين* قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر، قال كذلك الله يخلق ما يشاء، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون* ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل* ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وأبرئ

الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله، وأنبئكم بما تــأكلون ومــا تدخرون فى بيوتكم، إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين} [ســورة آل عمران : ٤٥ – ٤٩].

وفى لحظة التنفيذ:

{فأتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثــل لهــا بشراً سويا قالت إنى أعوذ بالرحمن منك، إن كنت تقياً* قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً* قالت أنى يكون لى غــلام ولــم يمسسنى بشر ولم أك بغياً* قال كذلك قال ربك هــو علــى هــين، ولنجعله آية للناس ورحمة منا، وكان أمراً مقضياً* فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً* فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يــا ليتنــى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً* فنادها من تحتها ألا تحزنــى قــد جعل ربك تحتك سرياً* وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً* فكلى واشربي وقرى عيناً، فإما ترين من البشر أحداً فقــولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً* فأتت بــه قومهــا تحمله، قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً* يا أخت هارون ما كــان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغياً* فأشارت إليه، قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً* قال إنى عبد الله آتانى الكتــاب وجعلنــى نبياً* وجعلنى مباركاً أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكــاة مــا دمت حياً* وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً* والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً} [سورة مريم : ١٧ – ٣٣].

وما كانت ولادة العذراء مريم أول حادثة من نوعهــا، فقــد سبقتها على الأقل حالة أخرى ذكرتها المــصادر المــسيحية عنــد

الحديث عن تفسير النبوءة التى نقلها متى فى إنجيله من سفر أشعيا والتى تقول: "هو ذا العذارء وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا([1]) – إنجيل متى ١ : ٢٣".

يقول المفسرون: "هذه النبوءة مذكورة فى أشعيا ٧ : ١٤ ، وقد أوحى بها نحو ٧٤٠ ق . م. والعبارة منقولة عن الترجمة السبعينية: (وهى ترجمة نقلها من العبرانية إلى اليونانية بعض علماء اليهود فى الإسكندرية بين سنة ٢٠٠ و ٣٠٠ق. م. وهى النسخة التى غلب استعمال اليهود لها فى أيام المسيح).
وظن البعض أن هذه النبوءة تمت أولاً فى أيام أحاز الملك فى ولادة ولد من فتاة كانت حينئذ عذراء لكنها تزوجت فيما بعد. ثم إنها تمت ثانياً بأسمى معنى ولادة المسيح. وظن آخرون أن أشعيا لم يشر إلا إلى يسوع ابن مريم. والرأى الأول هو الأرجح لأنه كثيراً ما رأينا النبوءة الواحدة تمت عدة مرات"([2])

ويلاحظ أنه يوجد بين المسيحيين اليوم من لا يؤمن بولادة العذراء مريم كحادث تاريخى وقع فعلا رغم أن العلم الحديث يؤيد هذا المبدأ. ففى عام ١٩٥٥ ألقت الدكتورة هيلين سبيرواى – أستاذة علم البيولوجي بجامعة لندن – محاضرة بعنوان : ولادة العذراء ، جاء فيها:

([1]) هناك قراءة أخرى أوردها الترجمة الفرنسية المسكونية تقول أن عمانوئيل تعنى: "ليكن الله معنا" أى أنها صيغة دعاء وليست جملة خبرية. إضافه إلى أن المسيح عندما ولد و لم يسم: عمانوئيل، حسب بشارة أشعيا ولكنه سمى يسوع، كما سبق أن سمى ابن زكريا: يوحنا، حسب البشارة التى ذكرها لوقا فى ١: ١٣. من هذا يتبين أنه لا مجال للربط بين نبوءة أشعيا وولادة مريم العذراء حسب ما ذكره متى.

([2]) الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل: تفسير إنجيل متى – ص٩ – صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى. بيروت.

"إن التوالد العذري الذى تبدأ فيه البويضة بالانقسام ذاتيا، منتجة جنيناً بسيطاً، أو قيامها بتعويض الكروموزوم الأبوي الناقص بشكل ما من أشكال الازدواج يعتبر شيئاً نادراً جداً فى الفقاريات ذات الدم الحار لكنه شيء عادى فى ابن مقرض، ثم حديثاً فى بعض دجاج الرومى غير المخصب.. وبمراعاة كل تلك الاعتبارات، علينا أن نعيد النظر فى مبررات اعتقادنا بأن التوالد الذاتى فى الفقاريات شيء نادر، وأنه لا وجود له فى الثدييات"([١])

ولقد أثبتت التجارب أنه بتنشيط البويضة بطرق كيميائية أو طبيعية فإنه يمكن حدوث إخصاب وتكوين جنين كما حدث فى الضفادع عندما وخزت بويضة الأنثى بدبوس فنشطت وكونت جنيناً دون الحاجة إلى حيوانات منوية من الذكر.

ويتمتع المسيح فى القرآن بمكانة عالية، فقد جاء: {وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين} [سورة آل عمران : ٤٥].

ورسل الله وأنبياؤه درجات متفاوته، وإن حظوا جميعاً بنعمة اصطفاء الله لهم وتفضيلهم جميعا على غيرهم من سائر البشر.

{تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله، ورفع بعضهم درجات، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس} [سورة البقرة: ٢٥٣].

([١]) انظر مجلة LANCET الطبية الإنجليزية – مجلد ١٩٥٥، وكذلك الصحيفة الإنجليزية SUNDAY PICTORIAL , LONDON , ٦ th November , ١٩٥٥.

إن المسلم يعلم يقيناً أن المسيح جاء رسولاً من الله إلى بني إسرائيل، وأنه كان نبياً من أفضل الأنبياء، وهو أولاً وأخيراً عبد من عباد الله المكرمين. ولهذا يؤمن المسلم بكل قول في الأسفار يضع المسيح في موضعه الصحيح هذا ولا يتعداه بأن يجعله إلها أو ابن إله. ومن أمثلة ذلك:

* شهد المسيح أنه نبى بلا كرامة فى وطنه. فقد "كانوا يعثرون به. فقال لهم يسوع ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وبين أقربائه وفى بيته. ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة – إنجيل مرقس ٦ : ٤–٥ "

- وحين أحيا الميت الابن الوحيد لأمه الأرملة – وهى معجزة كبرى – هتف الجميع بأنه نبى عظيم. فعندما "تقدم ولمس النعش فوق الحاملون. فقال أيها الشاب لك أقول قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه. فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه – إنجيل ٧ : ١٤".
- ولقد شهد تلاميذ المسيح أنه عبد الله ورسوله ولا شيء أكثر من هذا. فها هو متى يقرر فى إنجيله (١٢ : ١٧ –٢١) أن المسيح حين جاء، صدقت فيه نبوءة أشعيا (الإصحاح ٤٢) التى يقول مطلعها: "هو ذا عبدى الذى أعضده.. وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم".

- وكذلك شهد بطرس ويوحنا وبقية التلاميذ أن المسيح كان عبداً لله[1]: "رفعوا أصواتهم إلى الله بقلب واحد فقالوا: يا سيد، أنت صنعت السماء والأرض.. أنت قلت على لسان أبينا داود عبدك بوحى الروح القدس: لماذا ضجت الأمم وسعت الشعوب إلى الباطل؟.. تحالف حقاً فى هذه المدينة هيرودس وبنطيوس بيلاطس والوثنيون وشعوب إسرائيل على عبدك القدوس يسوع الذى مسحته.
- هب لعبيدك أن يعلنوا كلمتك.. باسطاً يدك ليجرى الشفاء والآيات والأعاجيب باسم عبدك القدوس يسوع – سفر أعمال الرسل ٤ : ٢٤ – ٣٠".
- وما كان المسيح فى عقيدة بطرس إلا إنساناً كان الله معه – وليس حالاً فيه كما زعم بعضهم – ومن ثم صنع الله بيده كل تلك المعجزات. فذلك كان إعلان بطرس فى كل مناسبة:

"أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم تعلمون – سفر أعمال الرسل ٢ : ٢٢".

تلك هى عقيدة المسلم فى أنبياء الله ورسله وأنهم ليسوا أكثر من عباد مكرمين.

([1]) العهد الجديد: منشورات دار المشرق – ١٩٨٥ – نقلا عن الترجمة الفرنسية المسكونية.

{لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون* يعلم ما بين أيـــديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مـــشفقون} [سورة الأنبياء ٢٧ – ٢٨].

وهى عقيدة يجدها الباحث المحايد فى اتفاق مع بعض نصوص الأسفار التى يؤمن بها اليهود والمسيحيون.

٣-من تعاليم الحياة اليومية([١])

تحريم لحم الخنزير:

"كلم الرب موسى وهارون قائلا لهما.. هذه هى الحيوانـــات التى لا تأكلونها الخنزير.. هو نجس لكم. مـــن لحمهـــا لا تـــأكلوا وجثتها لا تلمسوا – سفر اللاويين ١١: ١-٨ ".

وأما الذين يأكلون لحم الخنزير فلهم العذاب والهلاك: "الرب بالنـــار يعاقب وبسيفه على كل بشر.. الذين يقسون ويطهرون أنفسهم فـــى الجناب. وراء واحد فى الوسط أكلين لحم الخنزير والرجس والجرذ يفنون معاً، يقول الرب وأنا أجازى أعمالهم وأفكارهم – سفر أشعيا ٦٦ : ١٦-١٨".

قال المسيح لتابعيه: "على كرسي موسى جلس الكتبة والفرنـــسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه – إنجيل متـــى ٢٣ : ٢-٣".

هذا يعنى – هنا – تحريم لحم الخنزير على المؤمنين بالمسيح.

وفى القرآن: {حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع

([١]) انظر: المرجع السابق ص٣٦ وما بعدها .

إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق} [سورة المائدة : ٣].

تحريم الخمر والتنديد بشاربها:

"كلم الرب هارون قائلا: خمراً ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولك إلى خيمة الاجتماع لكى لا تموتوا. فرضاً دهرياً فى أجيالكم. وللتمييز بين المقدس والمحلل وبين النجس والطاهر ولتعليم بنى إسرائيل جميع الفرائض التى كلمهم الرب بها بيد موسى – سفر اللاويين ١٠ : ٨-١١".

"الخمر مستهزئة. السكر عجاج. ومن يترنح بهما فليس بحكيم – سفر الأمثال ١:٢٠".

"لمن الويل، لمن الشقاوة، لمن المخاصمات، لمن الكرب، لمن الجروح بلا سبب، لمن ازمهرار العينين: للذين يدمنون الخمر، الذين يدخلون فى طلب الشراب الممزوح. لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبابها فى الكأس وساغت مرقرقة. فى الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان – سفر الأمثال ٢٣ : ٢٩ – ٣٢".

وفى الإنجيل كان من علامات الطهر والأفضلية عند الله ليحي بن زكريا (يوحنا المعمدان) أنه : "خمراً ومسكراً لا يشرب – إنجيل لوقا ١: ١٥".

"الجسد يشتهى ضد الروح.. وأعمال الجسد ظاهرة التى هى : زنى، عهارة، نجاسة، دعارة، عبادة الأوثان.. قتل ، سكر.. إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله – الرسالة إلى غلاطية ٥: ١٧-٢١".

وفى الإسلام لعنت الخمر، واعتبر شربها إثماً كبيراً يقام الحد على شاربها. يقول الله فى القرآن: {يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون* إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون} [سورة المائدة : ٩٠ -٩١].

مراعاة الأدب والحياء فى اللباس:

ففى اليهودية: "لا يكن متاع رجل على امرأة، ولا يلبس رجل ثوب امرأة، لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب إلهك - سفر التثنية ٢٢ ٥".

وفى المسيحية: "النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل، لا بضفائر أو ذهب أو لألىء أو ملابس كثيرة الثمن-الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٩:٢".

"كل امرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شىء واحد بعينه. إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها - الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١١ : ٥ -٦".

"أيتها النساء: كن خاضعات لرجالكن.. ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب - الرسالة الأولى لبطرس ٣: ١-٣".

ويقول الله فى القرآن مخاطباً كل الناس: {يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً، ولباس التقوى ذلك خير، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون* يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما

أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاهما، إنـــه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم، إنا جعلنا الــشياطين أوليـــاء للذين لا يؤمنون} [سورة الأعراف : ٢٦-٢٧].

{يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشـــربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين* قل من حرم زينة الله التى أخـــرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هى للذين آمنوا فى الحيـــاة الـــدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون* قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به ســـلطاناً وأن تقولـــوا علـــى الله مـــا لا تعلمون} [سورة الأعراف :٣١-٣٣].

{قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلـــك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون* وقل للمؤمنات يغضضن مـــن أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منهـــا، وليضربن بخمرهن على جيوبهن، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخـــوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكـــت أيمـــانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لـــم يظهـــروا على عورات النساء، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مـــا يخفـــين مـــن زينتهن، وتوبوا إلى اله جميعاً آية المؤمنون لعلكم تفلحون} [ســـورة النور: ٣٠-٣١].

أما بعد..

لقد اتفقت تعاليم الأديان الثلاثة على مراعـــاة الحـــشمة فـــى اللباس، فما بال الدنيا وقد قامت فى إحدى الدول التى ترفع شـــعار الحرية والإخاء والمساواة – ولم تقعد بعد – بسبب ارتـــداء فتـــاتين مسلمتين صغيرتين، غطائين لرأسيهما؟!.

تشديد العقوبة على جريمة الزنا:

هناك اتفاق تام بين اليهودية والمسيحية والإسلام على تشديد العقوبة على جريمة الزنا وعلى كل الممارسات الجنسية الخاطئـــة، مع تفاوت بينها فى درجات الشدة.

ففى اليهودية: "إذا زنى رجل مع امرأة.. فإنه يقتل الزانـــى والزانية.. وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقـــد فعـــل كلاهما رجساً. إنهما يقتلان.. وإذا اتخذ رجل امرأة وأمهـــا فـــذلك رذيلة. بالنار يحرقونه وإياهما لكى لا يكون رذيلة بينكم.

إذا اضطجع رجل مع امرأة طامث وكشف عورتهـــا عـــرى ينبوعها وكشفت هى ينبوع دمها يقطعان كلاهما من شعبهما – سفر اللاوتيين ٢٠ : ١٠ –١٨".

وفى المسيحية: شدد المسيح فى معنى الزنى، فلـــم يجعلـــه قاصراً على الفعل المادى المحسوس، بل نقله إلى التصور المعنوى فقال:

"قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن. وأما أنا فـــأقول لكـــم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه. فإن كانـــت عينك اليمنى تعثرك فأقلعها وألقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد

أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك.
لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضاءك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم • إنجيل متى ٥-٢٧-٣٠".

وقد حرمت المسيحية على الزناه أن يرثوا ملكوت الله، وليس لهم بعد ذلك من قرار سوى العذاب الأبدى فى جهنم. فقد جاءوا ضمن قائمة الظالمين الذين "لا يرثون ملكوت الله.. لا زناة، ولا عبدة أوثان.. ولا مضاجعوا ذكور.. ولا سكيرون.. يرثون ملكوت الله- (١) كورنثوس ٦: ٩-١٠".
وعقاب الزناة فى هذه الحياة، هو ما قررته شريعة موسى أى القتل رجماً. فذلك ما قرره المسيح فى قوله لمن آمن به من بنى إسرائيل ولمن لم يؤمن به: "خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون - إنجيل متى ٢٣: ١-٣".

وأما قصة المرأة الزانية التى انفرد بها إنجيل يوحنا وقال فيها: "قدم إليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل. وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم. فماذا تقول أنت؟ قال لهم: من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر.. فلما سمعوا خرجوا واحداً واحداً.. فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سوى المرأة قال لها يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك؟ أما

أدانك أحد. فقالت لا أحد يا سيدى. فقال لها يسوع ولا أنا أدينك. اذهبى ولا تخطئى – إنجيل يوحنا ٨: ٣-١١".

إن هذه القصة منحولة ولا وجود لها فى أقدم نسخ إنجيل يوحنا ولكنها أضيفت إليه فيما بعد.

فهذا ما تقرره التراجم الحديثة. فلقد أنزلتها الترجمة الإنجليزية القياسية المراجعة (R . S . V) من المتن إلى الحاشية، وذلك فى طبعاتها الأولى. لكنها أعيدت بعد ذلك إلى المتن – إرضاء للمحتجين الذين صدموا فى اعتبارهم قصة مدسوسة ! – مع الإشارة فى الهامش إلى أنه ليس لها وجود فى أقدم النسخ وأصحها.
وتقول الترجمة الفرنسية المسكونية (T . O . B) :

"لقد وجد الجزء من ٧ : ٥٣ إلى ٨ : ١١ محذوفاً من النسخ الأقدم من إنجيل يوحنا، كما أنه لا وجود له فى العديد من التراجم؛ كما أن النص غير متفق عليه إذا له قراءات مختلفة، إضافة إلى أنه لا يتفق وأسلوب يوحنا. ولهذا يمكن القول بأن هذا الجزء لم يكن ضمن إنجيل يوحنا الأصلى".

وأهم من هذا كله أن المسيح كان قد أعلن فى بدء دعوته أنه ما جاء لينقض ناموس موسى والنبيين من بعده، وأن "زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس – إنجيل لوقا ١٦ : ١٧ ".

ومن ثم لا يمكن أن يعطل المسيح ناموس موسى بترك المرأة الزانية بلا عقاب.

وفى الإسلام: نجد الزنا يعتبر من الكبائر، وهى الخطايا التى تورد صاحبها الهلاك، إلا أن يتوب. فالحق يقول: {وعباد الـــرحمن الذين يمشون على الأرض هونـــاً وإذا خـــاطبهم الجـــاهلون قـــالوا سلاماً* والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً* والذين يقولـــون ربنـــا اصرف عنا عذاب جهنم، إن عذابها كـــان غرامـــاً* إنهـــا ســـاءت مستقراً ومقاماً* والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بـــين ذلك قواماً* والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلـــون الـــنفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلـــك يلـــق آثامـــاً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً* إلا من تاب وآمـــن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله ســـيئاتهم حـــسنات، وكـــان الله غفوراً رحيماً} [سورة الفرقان : ٦٣-٧٠].

ولقد تحددت العقوبة فى الدنيا كالآتى: إذا كان الخاطىء أعزب فالعقوبة هى الجلد: {الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة} [سورة النور : ٢].

- إذا كان الخاطىء محصنا – أى متزوج – فالعقوبة هى الـــرجم وهى عقوبة قررتها السنة النبوية. فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعز الأسلمى والمرأة الغامدية، بناء علـــى اعتراف كل منهما ومجيئه إلى رسول الله يطلب التطهيـــر مـــن خطيئته، ولقد حدث حين جاء ماعز مقرا بخطيئته أن أعـــرض عنه رسول الله فتنحى تلقاء وجهه وقال: يا رســـول الله. إنـــى زنيت. فأعرض عنه حتى كرر ذلك أربع مرات. فأخذ بعد ذلك يسأله لعله يبين أنها لم تكن عملية جنسية كاملة، فيـــسقط عنـــه

الحد، لكن الرجل أصر على موقفه. وكان لابد حينئذ من إقامة الحد عليه.

- وحدث مثل ذلك للمرأة الغامدية. فحين آتت رسول الله مقرة بالزنا وهى حامل وقالت إنى حبلى من الزنا، فقال لها: "إرجعي حتى تضعى ما فى بطنك" فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت. فأتى النبى (ص) فقال: قد وضعت الغامدية. فقال الرسول: "إذن لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه".

فقال رجلا من الأنصار: إلى إرضاعه، يا نبى الله. فرجمها ، وجدير بالذكر أنه إذا هرب المرجوم أثناء الرجم – بناء على إقراره – فيجب إيقاف العقوبة فوراً ولا يجوز متابعته.

ويصح الرجوع عن الإقرار قبل التنفيذ، ويترتب على ذلك إيقاف العقوبة.

كذلك يقام الحد – سواء كان جلدا أو رجما – بشهادة أربعة شهود عدول، وأن يصفوا الزنى بما يؤكد وقوعه، وليس مجرد اضطجاع رجل مع امرأة. فقد انعقد اجماع أئمة الفقه الأربعة أنه إذا جاء شاهد من الشهود وقال: "رأيتهما ينامان فى فرش واحد" فلا تكفى شهادته لإقامة الحد. وإذا تراجع أحد الشهود عن شهادته يوقف الحد.

ومن المبادىء العامة فى الإسلام ، فيما يتعلق بإقامة الحدود المقررة على الخطاة، أنه:

١-يجب التحرز تماما والتأنى وتلمس المعاذير والشبهات التى تجعل ضمير القاضى غير مستريح للحكم بإقامة الحد. وذلك لحديث رسول الله: "ادرأوا الحدود بالشبهات".

٢-من أخطأ وستره الله، ولم يظهر خطيئته للناس، فلا حد عليه. فليس من الإسلام تتبع عورات الناس والتجسس عليهم. فلقد قال رسول الله: "من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله. فأنه من لم يبدلنا صفحته نقم عليه كتاب الله".

٣-فى حالة إقامة حد الزنا، بناء على اعتراف أحد الخاطئين – وليس بناء على شهادة الشهود الأربعة – فلا حد على الطرف الثانى الذى لم يعترف بجرمه، فلقد روى أبو داود أن رجلا جاء إلى رسول الله(ص) فأقر بأنه زنى بامرأة سماها له، فبعث رسول الله(ص) إلى المرأة فسألها عن ذلك ، فأنكرت فجلده وتركها.

{إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم، وكان الله عليماً حكيماً} [سورة النساء : ١٧].

{ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً} [سورة النساء : ١١٠].

{يريد الله أن يخفف عنكم، وخلق الإنسان ضعيفاً} [سورة النساء : ٢٨].

٤-البعث والجزاء فى الآخرة[١]

لا تظهر عقيدة البعث والجزاء فى الآخرة - أو يوم الحساب - فى اليهودية كعقيدة محددة المعالم. فقد سقطت من أسفار موسى الخمسة وما تلاها من أسفار. ولم تبدأ الإشارة إليها إلا بعد موسى بأكثر من خمسة قرون، كما نجده فى مثل هذه الأقوال:

"يفنى كل جند السموات وتلتف السموات كدرج وكل جندها ينتثر كانتثار الورق من الكرمة - سفر أشعيا ٣٤ : ٤ ".

"كثيرون من الراقدين فى تراب يستيقظون: هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدى - سفر دانيال ١٢ : ٢".

ولقد استمرت عقيدة إنكار البعث والحساب سائدة بين قطاعات كبيرة من بنى إسرائيل حتى أنه بعد أن جاء المسيح بعد موسى بنحو ثلاثة عشر قرنا من الزمان، كان من خصومه الأقوياء طائفة تسمى الصدوقيون، يصفهم الإنجيل بقوله: "الذين يقولون ليس قيامة - إنجيل متى ٢٢ : ٢٣" . ويقول فيهم سفر أعمال الرسل أن : "الصدوقيين يقولون أنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح، وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك - ٢٣ : ٨".

ولما جاء المسيح فإنه أكد على عقيدة البعث والحساب - التى كان يؤمن بها قدماء المصريين وسجلوا ذلك بأهراماتهم - قبل مولد إسرائيل بأكثر من خمسة عشر قرناً من الزمان.

ولقد بين المسيح أنه فى الآخرة سيمضى الناس فريقين:

---

(١) انظر: المرجع السابق ص٤٤ وما بعدها .

"هؤلاء إلى عذاب أبدى، والأبرار إلى حياة أبدية – إنجيل متى ٣٥ : ٤٦".

ثم ذكر المسيح شيئاً من عذاب الآخرة فقال: "إن أعثرتك يدك فاقطعها، خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضى إلى جهنم، إلى النار التى لا تطفأ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ.. وإن أعثرتك عينك فاقلعهما. خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار. حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ – إنجيل مرقس ٩ : ٤٣-٤٨".

وكذلك ذكر المسيح شيئاً من نعيم الآخرة فبين أن فيها خمراً وطعاماً وشراباً ومنازل وأهلاً أضعاف ما كان فى الدنيا : فقد قال لتلاميذه فى العشاء الأخير بعد أن : "أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم. وقال لهم: الحق أقول لكم إنى لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً فى ملكوت الله – إنجيل مرقس ١٤ : ٢٣-٢٥".

ولقد وعد المسيح الذين اتبعوه وتحملوا المشاق والآلام من أجله أن تكون لهم فى الآخرة مائة ضعف من البيوت والنساء والأولاد وغيره. فقد قال له بطرس: "ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم ..كل من ترك بيوتاً أو أخوة أو أخوات أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل أسمى. يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية – إنجيل متى ١٩ : ٢٧-٢٩".

وقال المسيح أن فى الآخرة: "منازل كثيرة، وإلا فإنى كنت قد قلت لكم أن أمضى لأعد لكم مكاناً – إنجيل يوحنا ١٤ : ٢".

وقال لتلاميذه أيضاً فى العشاء الأخير: "أنتم الذين ثبتوا معى فى تجاربى أن أجعل لكم ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى، وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر – إنجيل لوقا ٢٢ : ١٨-٣٠".

وفى القرآن نجده يضرب مثل الجنة ومثل النار بما عرفه الناس فى الدنيا فيقول:

{مثل الجنة التى وعد المتقون، فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمرة لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم، كمن هو خالد فى النار وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم} [سورة محمد : ١٥].

{يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون* الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين* ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون* يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون* وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون* لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون* إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون* لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون* وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين* ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك، قال إنكم ماكثون* لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون} [سورة الزخرف : ٦٨ ٧٨].

{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا* خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً} [سورة الكهف : ١٠٧-١٠٨]. {لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد} [سورة ق : ٣٥].

المبحث الخامس

موجز لنقاط الاختلاف

بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى

١-الإله:([1])

يرفض المسلم كل قول ينسب لله تجسيدا أو تشبيها أو حلـــولا فى أشياء وما إلى ذلك من أوهام وضلالات، كما يرفض كل حديث يصور الله وقد لحقت به عواطف الإنسان وانفعالاته وضعفه، فكـــل ذلك باطل الأباطيل.

إن القاعدة الأصلية التي يقوم عليها فكر المسلم فـــى الإلـــه الحق أنه واحد أحد صمد :{لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفواً أحـــد }[سورة الإخلاص :٣، ٤]، وأنه { لـــيس كمثلـــه شـــىء } [ســـورة الشورى :١١]، وأنه {لا تدركه الأبصار }[سورة الأنعام: ١٠٣]، و { أن الله على كل شىء قدير} [سورة البقرة : ١٠٦] ، {وله المثـــل الأعلى فى السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم } [سورة الروم :٢٧].

وفيما يلى بعض ما يرفضه الفكر الإسلامي مما نجـــده فـــى الأسفار خاصا بهذا الموضوع الخطير، بل إنه أخطر موضـــوعات العقيدة على الإطلاق.

الراحة بعد خلق السماوات والأرض:

تقول الأسفار: "فزع الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح فىاليوم السابع من جميع عمله الذى عملـــه. وبـــارك الله

([1]) انظر: المرجع السابق ص٤٩ وما بعدها .

اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمـل الله خالقا – سفر التكوين ٢: ٢ – ٣".

ولقد صحح الله هذا المفهوم فى القرآن فقال : {ولقـد خلقنـا السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا مـن لغـوب} [سورة ق : ٣٨]

وفى صيغة استفهام استنكارى نقرأ قول الحق:

{أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديـد} [سـورة ق : ١٥].

الندم على خلق الإنسان وغيره !:

"ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض وأن كـان كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى قلبه، فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الـذى خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء، لأنى حزنت أنـى عملتهم – سفر التكوين:٥ – ٧".

لكن القرآن يصحح المفاهيم حول كل عمليات الخلق فيقـول: {وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين*ما خلقناهمـا إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون} [سورة الدخان: ٣٨، ٣٩].

{إنا كل شىء خلقناه بقدر} [سورة القمر : ٤٩].

{الذى أحسن كل شىء خلقه} (سورة السجدة : ٧].

{يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون} [سورة الرعـد: ٢].

{عالم الغيب والشهادة، وهو الحكيم الخبير} [سورة الأنعام : ٧٣].

بلبلة ألسنة البشر ليتفرقوا فلا يتقدموا في الحياة!:

"وكانت الأرض كلها لسانا واحداً.. وقال بعضهم لبعض هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء.. فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما. وقال الرب: هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم العمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعلموه. هلم نزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض. فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض، فكفوا عن بنيان المدينة. لذلك دعى اسمها بابل. لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض – سفر التكوين ١١ : ١ – ٩".

لكن القرآن يعلم الناس جميعا أن اختلاف ألسنتهم كاختلاف ألوانهم إنما هو آية دالة على قدرة الله وبديع صنعه:{ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين } [سورة الروم : ٢٢].

ويعلمنا القرآن أن الله يرضى عن تقدم الإنسان فى هذه الحياة، إذا يقول: {وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون} [سورة الجاثية : ١٣].

مصارعة إنسان والعجز عن التغلب عليه!:

إنها حقا تصدم كل مسلم حين يقرأ هذا العنوان الفرعى فى الأسفار:

يعقوب يصارع الله ([١])

([١]) تقول الترجمة الفرنسية المسكونية ! Jacob Lutte avec Diec

تقول هذه الأسطورة: "بقى يعقوب وحده وصـــارعه إنـــسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخـــذه.. وقال اطلقنى لأنه قد طلع الفجر. فقال (يعقوب) لا أطلقـــك إن لـــم تباركنى. فقال ما أسمك؟ فقال يعقوب. فقال لا يدعى اسمك فى مـــا بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت.

فدعا يعقوب اسم المكان فنئيل قائلا أنى نظرت الله وجهـــا ونجيـــب بنفسى – سفر التكوين ٣٢ : ٢٤ – ٣٠"

ونجد فى القرآن ما يعزينا عن مثل تلك الأوهـــام ومثيلاتهـــا كثير، حين نقرأ قول الحق: {ما قدروا الله حق قدره، إن الله لقـــوى عزيز} [سورة الحج : ٧٤].

الحلول في الإنسان:

تلك عقيدة مستقاه من أساطير الأقدمين هنـــوداً ومـــصريين وإغريق وغيرهم، حيث تصوروا أن آلهتهم تحل في الإنـــسان بـــل وفى الحيوان والطير، ولهـــذا عبـــدوا تلـــك المخلوقـــات وســـجلوا ضلالاتهم هذه على معابدهم وآثارهم.

وها هو كاتب إنجيل يوحنا ينفرد – دون غيـــره مـــن كتبـــه الأناجيل – بتقرير أن الله قد حل فى المسيح، إذا ينسب إليـــه هـــذا القول:

"الأب الحالى هو يعمل الأعمال. صدقونى إنـــى فـــى الآب والآب فى – إنجيل يوحنا ١٤ : ١٠–١١".

وفكرة الحلول هذه التى تسربت إلى الإنجيل الرابع قد جاءت من رسائل بولس الهللينستى التى كتبت قبله بأكثر من خمسين عاماً.

فقد كتب يقول عن المسيح : "فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا – الرسالة إلى كمولوسى ٢: ٩".

إن القول بأن المسيح إله أو ابن إله وأنه الأقنوم الثاني من الثالوث أو أن الله قد حل فيه، كل ذلك قد تسرب إلى المسيحية من الديانات البشرية القديمة، لقد وصف القرآن الذين يعتنقون مثل هذه الأفكار بأنهم يحاكون ما كان عليه قدامى الكافرين، وذلك فى قوله: { وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل} [سورة التوبة : ٣٠].

يقول أودلف أرمان فى كتابه: "ديانة مصر القديمة" ، عند الحديث عن معتقدات المصريين القدماء: "اعتقد المصرى أن روح الإله تسكن الحيوانات المقدسة فى معبده. وقد أعطى هذا الاعتقاد رجال الدين المتفقهين فيه فرصة طيبة لكى يضموا فى تعاليمهم هذه الحيوانات المقدسة، فتمتعت العجول والتيوس والبقر والصقور والتماسيح والثعابين بقداسة لا شك فيها.. وانتهى الأمر أنهم لم يكتفوا بجعل روح واحدة لكل إله، بل زادوا العدد. فمثلا رع كانت له سبعة أرواح.

ولما كان الملك فى اعتقادهم ذا صفات إلهية، لذلك وجب أن يكون له أرواح كثيرة.. ويكفينا أن نختتم هذه الكلمة بحقيقة أخرى وهى أن الإله يمكن أن يكون بمثابة روح لإله آخر. فمثلا آمون كان روح شو أو روح أوزوريس، وعندما عانق أوزوريس إله منديس الممثل على شكل التيس تكون من هذا العناق روحا مزدوجة ص ١١٢ –١١٣".

إن الإسلام حازم وواضح تماما في كل ما يتعلــق بألوهيــة المسيح فالقرآن يقول: {إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلنــاه مــثلا لبنى إسرائيل}[سورة الزخرف :٥٩].

{وقالوا اتخذ الرحمن ولــدا*لقــد جئــتم شــيئا إذا * تكــاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا*أن دعــوا للرحمن ولدا*وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا*إن كــل مــن فــي السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا * لقد أحــصاهم وعــدهم عدا*وكلهم آتيه يوم القيامة فردا}[سورة مريم: ٨٨-٩٥].

{لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابــن مــريم، وقــال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم، إنه من يشرك بــالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار*لقــد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا مــنهم عــذاب ألــيم* أفــلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه، والله غفور رحيم}.[سورة المائــدة:٧٢ - ٧٤).

إن المسيح ليتبرأ من كل من يحاول الخلط بينه وبــين الله أو ينسب له ألوهية على أى صورة من الصور. فلا يزال قوله الحــق فى الأناجيل واضحا وضوح الشمس فى رابعة النهار وغير محتاج إلى شرح المفسرين وتأويل المتفيقهين:

"وفيما هو خارج إلى الطريق ركض له واحــد وجثــا لــه وسأله: أيها المعلم الصالح: ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟

فقال له يسوع: لماذا تدعونى صالحاً؟ ليس أحد صـــالحا إلا واحد وهو الله – أناجيل: مرقس ١٠ : ١٧–١٨، متـــى ١٩ :١٦–١٧ ، لوقا ١٨ : ١٨–١٩".

لقد أجمعت الأناجيل الثلاثة – التى لا تعرف شيئا عن الزعم بحلول الله فى المسيح – على هذه الحقيقة الأساسية التى هى المفتاح لحل الخلافات العقائدية بـــين المـــسيحين أنفـــسهم وبيـــنهم وبـــين المسلمين. لقد كان ما قرره المسيح هنا متفقا تماما مـــع مـــا يقـــرر القرآن فى آيات كثيرة من أبرزها:

{ولله المثل العلى، وهو العزيز الحكيم} [سورة النحل : ٦٠].

{وله المثل الأعلى فى السماوات والأرض، وهـــو العزيـــز الحكيم} [سورة الروم : ٢٧].

٢–الأنبياء([١]):

إن المسلم ليرفض كل ما ألحق بسير الأنبياء مـــن نقـــائض ومخازى فهم عباد الله المصطفون الأخيار، جعلهم الله هداة البشرية وأسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم والآخر. فالقرآن يقول فيهم:

{أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممـــن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتنبنـــا، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا} [سورة مريم: ٥٨].

{أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده} [سورة الأنعام : ٩٠].

([١]) انظر: المرجع السابق ص٥٤ وما بعدها .

{وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعـل الخيـرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وكانوا لنا عابـدين} [سـورة الأنبيـاء: ٧٣].

تلك هى عقيد المسلم فى أنبياء الله ومن ثم فهـو ينكـر بـل ويستنكر كل الخطايا والسقطات التى نقرؤها عنهم فـى الأسـفار. ومن أمثلة ذلك ما يقال عن: زنا لوط بابنتيه (سـفر التكـوين ١٩: ٣٠-٣٨): وكان من ثمرته ابنا الزنا موآب وعمون، ومـن ذريـة أولهما جاء داود !

خيانة موسى وهارون لله: وكان ذلك الاتهام الخطير هو آخر وحى تلقاه موسى قبل موته، فقد كلم الرب موسى فى نفـس ذلـك اليوم قائلا، اصعد إلى جبل عباريم.. وأنظر أرض كنعان... ومـت فى الجبل الذى تصعد إليه وانضم إلى قومـك كمـا مـات أخـوك هارون فى جبل هور وضم إلى قومه، لأنكما خنتمانى فـى وسـط بنى إسرائيل.. إذا لم تقدسانى فى وسط بني إسرائيل – سفر التثنية ٣٢ : ٤٨ – ٥١".

لكن القرآن يبرىء موسى وهارون من هذه الخيانة وأمثالهـا فيقول: {واذكر فى الكتاب موسى، إنه كان مخلصا وكـان رسـولا نبيا * وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا * ووهبنا لـه من رحمتنا أخاه هارون نبيا} [سورة مريم : ٥١-٥٣].

{ولقد مننا على موسى وهارون* ونجيناهما وقومهمـا مـن الكرب العظيم* ونصرناهم فكانون هم الغالبين* وآتيناهما الكتـاب المستبين* وهديناهما الصراط المـستقيم* وتركنـا عليهمـا فـي

الآخرين* سلام على موسى وهارون* إنا كذلك نجزى المحسنين* إنهما من عبادنا المؤمنين} [سورة الصافات : ١١٤ – ١٢٢].

زنا داود بامرأة عبده أوريا الحثى ثم تآمره عليه وقتله (سفر صموئيل الثاني ١١: ١-٢٧].

ويكفى أن نقرأ ما يقول القرآن فى شأن داود حتى نقول كما علمنا القرآن فى مواجهة مثل تلك التهم الخطيرة أن نقول.

{ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم} [سورة النور :١٦].

فالقرآن يقول فى داود : {ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض، وآتينا داود زبوراً} [سورة الإسراء : ٥٥].

{ولقد آتينا داود منا فضلاً، يا جبال أوبى معه والطير، وألنا له الحديد* أن أعمل سابغات وقدر فى السرد، واعملوا صالحا، إنى بما تعملون بصير* ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر، وأسلنا له عين القطر، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير* يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات، اعملوا آل داود شكراً، وقليل من عبادى الشكور} [سورة سبأ: ١٠-١٣].

كفر سليمان فى أواخر أيامه:

تقول الأسفار: "وأحب الملك سليمان نساء غريبه كثيرة مع بنت فرعون: موآبيات وعمونيات وأدوميات..من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم.. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة.

وكانت له سبع مائة من النساء السيدات، وثلاثة مائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخته أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب.. فذهب سليمان وراء عشتورت إله الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم.. وهكذا فعل لجميع نسائه الغربيات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن. فغضب الرب على سليمان – سفر الملوك الأول ١١ : ١ –٩ ".

لكن القرآن يذكر سليمان بالخير ويبرئه تماما من تهمة الكفر هذه

{ ووهبنا لداود سليمان، نعم العبد، إنه أواب } [سورة ص : ٣٠].

{ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا } [سورة البقرة : ١٠٢].

أنبياء بني إسرائيل قبل المسيح كانوا لصوصا !:

أن هذا ما ينسبه إنجيل يوحنا إلى المسيح حين يقول: "قال لهم يسوع أيضا الحق الحق أقول لكم أني أنا باب الخراف. جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص. ولكن الخراف لم تسمع لهم. أنا هو الباب إن دخل بي أحد فيخلص .. أنا هو الراعي الصالح –١٠ : ٧ –١١".

أما بعد .. إن هذا قليل من كثير مما يصدم المسلم حين يقرأ سير النبيين في الأسفار.

٣-قضية صلب المسيح([١])

يختلف الإسلام مع النصرانية فى قضية أساسية من قضايا الإيمان فى عقائد المسيحين، وهى القول بأن المسيح انتهت حياته بالصلب، وأن ذلك كان ضرورة للتكفير عن خطايا البشر حسب نظرية بولس.

إن القرآن يقرر بوضوح عدم صلب المسيح، وأن الله نجاه من محاولات اليهود قتله، بأن رفعه إليه كما سبق أن رفع أنبياء وأبرار، وإن الأمر كان فتنة اختلطت فيها حقيقة الأمر على كثير من الناس.

فالقرآن يقول: {وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقينا* بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً} [سورة النساء : ١٥٧ – ١٥٨].

ويكفى أن نرجع إلى الأسفار فى هذه القضية لنعلم منها الآتى:

حين شعر المسيح بالخطر يتهدده وهو فى الحديقة كانت صلاته حارة إلى الله كى ينجيه من الموت. فقد "بدأ يدهش ويكتئب. فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت. ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن. وقال يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك فأجزعنى هذه الكأس ولكن ليكن لا ما أريد بل ما تريد أنت..

([١]) انظر: المرجع السابق ص٥٧ وما بعدها .

وظهر له ملاك من السماء يقويه. وإذا فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجه وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض – إنجيل مرقس ١٤ : ٢٣ – ٣٦ ، لوقا ٢٢ : ٤٣ – ٤٤".

٢–حين جاءت قوة الظلم وتقدم يهوذا الخائن ليدلهم على سيده، "قال له يسوع : يا صاحب، لماذا جئت؟! – إنجيل متى ٢٦ : ٥٠ ".

٣–وفى المحاكمة "اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين إن كنت المسيح فقل لنا.

فقال لهم: إن قلت لكم لا تصدقون . وإن سألت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى – إنجيل لوقا ٢٢ : ٦٦ – ٦٨ ".

وهنا وقفة: لنفرض جدالا أنه كان المسيح، فإن هذا يعنى أنه كان يرجو إطلاق سراحة. وهذا ينفى ما نقرأه فى رسائل بولس وما اقتبس منها فى الأناجيل مثل القول بأن المسيح: "بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الشرير" أو أنه "بذل نفسه فدية لأجل الجميع".

ومعنى ذلك أنه لو كان المسيح قد قتل حقاً، لكان ذلك رغما عنه. وبهذا تتعاظم خطيئة البشرية التى قتلته ظلماً وقهراً. ومن يكفر عن تلك الخطيئة العظمى بعد ذلك ؟!.

وإذا افترضنا أنه ليس المسيح فإن هذا ما يفيده المضمون، خاصة إذا علمنا أن الفقرة التالية لهذا هى قول ذلك الذى يستجوبونه: "منذ الآن يكون ابن الإنسان (المسيح) جالسا عن يمين قوة الله – إنجيل لوقا ٢٢ : ٦٩ ".

وهذا يقطع بأن الشخص الذى قبضوا عليه وحاكموه وصلبوه إنما كان شخصاً آخر غير المسيح، وأنه رآه بعينى رأسه وقد صعد إلى السماء، ولهذا قال: "منذ الآن".

٤-ولقد كانت آخر صرخة للمصلوب هى قوله : "الوى ، الوى ، لما شبقتنى ؟! الذى تفسيره : إلهى، إلهى، لماذا تركتنى - إنجيل مرقس ١٥ : ٣٤".

لكن المسيح قرر فى الإنجيل أن الله معه ولن يتركه أبدا. وهذا ما يعتقده كل المؤمنين. فهو يقول: "الذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى الآب وحدى لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه - إنجيل يوحنا ٨ : ٢٩".

فمن المؤكد أن الذى أطلق صرخة اليأس تلك على الصليب إنما كان شخصا آخر غير المسيح الذى أكد أن الله معه فى كل حين.

٥-لقد تنبأ المسيح بنجاته من القتل - كما تنبأت المزامير كثيراً وكثيراً - فلا يزال بين أيدينا ما قاله المسيح فى تحد لليهود حين حاولوا اصطياده فى إحدى المرات. "فقد أرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه فقال لهم يسوع: أنا معكم زمانا يسيراً بعد ثم أمضى إلى الذى أرسلنى. ستطلبوننى ولا تجدوننى، حيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا - إنجيل يوحنا ٧ : ٣٢ - ٣٤".

لا تظن أحداً يشك فى وضوح هذا القول الذى يعنى أن اليهود حين يطلبون المسيح لقتله فلن يجدوه لأن الله سيحفظه بالرفع. ومن

الطبيعى أن يقال أن السماء مكان يعجز اليهود عن الوصـــول إليـــه تعقبا للمسيح.

٦-هذا ولقد اختلفت الأناجيل الأربعة فـــى عناصـــر قـــصة الصلب ويكفى أن نذكر أن العشاء الأخيـــر كـــان حـــسب الثلاثـــة الأولى: متى ومرقس ولوقا وهو عشاء الفصح، وأما الإنجيل الرابع فقد جعله قبل الفصح بأيام. وقد ترتب على هذا أن كان يوم الصلب حسب الثلاثة يوم الجمعة، بينما هو حسب إنجيل يوحنا يوم الخميس - اليوم الذى ذبحت فيه خراف الفصح (إنجيل يوحنـــا ١٨ : ٢٨ ، ١٩ : ١٤].

ولما كانت المقبرة التى وضع فيهـــا جـــسد المـــصلوب قـــد وجدتها مريم المجدولية خالية صباح الأحد، فإن هذا يعنى أن جـــسد ذلك المصلوب لم يدفن فى الأرض "ثلاثة أيام وثلاث ليال" حـــسبما هو شائع فى الأناجيل : متى ١٢ : ٤٠ ، ١٧: ٢٣ - مـــرقس ٩ : ٣١ - لوقا ٩ : ٢٢. فالفترة بين يوم الجمعة يوم الـــصلب، ويـــوم الأحد يوم القيامة لا تزيد عن: يوم واحد وليلتين.

أما بعد .. إن هذا قليل من كثير مما يبرهن على عدم صلب المسيح .

٤-تحريف نصوص الأسفار([١])

يعتقد المسلمون أن أسفار أهل الكتاب قد تعـــرض بعـــضها للفقد والنسيان كما تعرض البعض الآخر لتحريف وتبديل باعد بـــين النص الحديث والأصل القديم.

([١]) انظر: المرجع السابق ص٦٠ وما بعدها .

يقول القرآن فى شأن اليهود: {يحرفون الكلم عن مواضعه، ونسوا حظا مما ذكروا به، ولا تزال تطلع على خائنه منهم} . [سورة المائدة : ١٣].

ويقول فى شأن النصارى: {ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به} [سورة المائدة : ١٤].

ويقول فى أهل الكتاب من اليهود والنصارى: {وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون} [سورة آل عمران :٧٨].

{ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون* فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون} [سورة البقرة ٧٨ – ٧٩].

والآن ماذا تقول الكنيسة وعلماء الكتاب المقدس فى هذا الموضوع الحيوى الخطير؟:

١-أعلن مجمع الفاتيكان الأول (٦٩ -١٨٧٠) أن الكتب القانونية التى يشتمل عليها الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد : "كتبت بإلهام الروح القدس، مؤلها الله، وأعطيت هكذا للكنيسة".

٢-وبعد نحو ٩٠ عاما عقد مجمع الفاتيكان الثاني (٦٢-١٩٦٥). وقد أدرجت فى الوثيقة المسكونية الرابعة فقرة عن التنزيل تختص بالعهد القديم، تقول: "تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو الله ومن هو الإنسان بما لا يقل عن معرفة الطريقة

التى يتصرف بها الله فى عدله ورحمته مع الإنسان. غير أن هــذه الكتب تحتوى على نقائض وأباطيل، ومع ذلك ففيها شهادة عن تعليم إلهى".

٣-تقول الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقــدس (T. O. B)فيما يتعلق بنصوص أسفار العهد القديم تحت عنوان:

إفساد النصوص : Corruptions Textuelles

"لا شك .. أن هنالك عددا من النــصوص المــشوهة التــى تفصل النص المسورى الأول عن النص الأصلى. فمــثلا ، تقفــز عين الناسخ من كلمة إلى تشبهها. وترد بعد بضعة أسطر، مهملــة كل ما يفصل بينهما. كما أن تكون هناك أحرف كتبت كتابة رديئــة فلا يحسن الناسخ قراءتها فيخلط بينها وبين غيرها.

وقد يدخل الناسخ فى النص الذى ينقلــه، لكــن فــى مكــان خاطىء، تعليقا هامشيا يحتوى على قراءة مختلفة أو على شرح ما.

والجدير بالذكر أن بعض النساخ الأتقياء أقــدموا، بإدخــال تصحيحات لاهوتية، على تحسين بعض التعابير التى كانت تبدو لهم معرضة لتفسير عقائدى خاطئ"([1])

٤-كذلك تقول الترجمة الفرنسية المــسكونية فيمــا يتعلــق بنصوص أسفار العهد الجديد:

"إن نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد نــساخ صلاحهم للعمل متفاوت، وما من واحد منهم معصوم مــن مختلــف

([1]) نقلا عن : كتب الشريعة الخمسة – ص ٦٦ دار المشرق – بيروت ، وذلك مع مراجعتها على النص الفرنسي.

الأخطاء التى تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت، مهما بذل فيها من الجهد، بالموافقة التامة للمثال الذى أخذت عنه.

يضاف إلىذلك أن بعض النساخ حاولوا أحيانا، عن حسن نية، أن يصوبوا ما جاء فى مثالهم زبدا لهم أنه يحتوى أخطاء واضحة، أو قلة دقة فى التعبير اللاهوتى، وهكذا أدخلوا إلى النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ.

ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر فكان النص الذى وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مثقلا بمختلف ألوان التبديل ظهرت فى عدد كبير من القراءات.

هدف أصحاب النقد الباطنى أن يوضحوا بجلاء نوع التدخل الذى قام به الناسخ والأسباب التى دعته إلى ذلك التدخل، فيسهل بعد ذلك الارتقاء إلى القراءة القديمة التى تفرعت منها سائر الروايات المحرفة.

ولا يرجى فى حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه"([1])

إن هذا يكفى للحديث عن تحريف بعض نصوص الأسفار([2]).

{إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد} [سورة ق : ٣٧].

([1]) نقلا عن : العهد الجديد: ص ٧ – ١٠ – منشورات دار المشرق – بيروت.

([2]) راجع كتاب المؤلف: اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس.

٥-نبوة محمد(١)

يختلف أهل الكتاب – يهوداً ومسيحيين – مع المسلمين حول نبوة محمد. فكما ينكر اليهود إلى اليوم نبوة المسيح الذى ولد منذ ما يقرب ألفى عام، تتكرر نفس المواقف حيث تنكر كلا الطائفتين نبوة محمد الذى قام يدعو إلى الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان.

ولننظر ماذا تقول الأسفار فى هذا الموضوع.

المعيار الذى تقرره التوراه لصدق النبوة:

شرطان لابد منهما للحكم على صدق النبوة:

الأول – أن يدعو النبي إلى عبادة الله الواحد الأحد.

الثاني – أن تتحقق تنبؤات ذلك النبي فيما يتعلق بأحداث المستقبل.

وفى كل ذلك ليس للآيات والأعاجيب أى اعتبار إذا كان هناك نبى يدعو إلى غير توحيد الله، فهو فى تلك نبى كذاب جزاؤه القتل على رؤوس الأشهاد.

فبالنسبة للشرط الأول، قال الرب لموسى ولبنى إسرائيل:

"إذا قام فى وسطك نبى أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة. ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها قائلا لنذهب وراء آلهة أخرى.. فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم، لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلهكم. وإياه تعبدون وبه تلتصقون.

---

(١) انظر: الإسلام والأديان الأخرى ص٦٣ وما بعدها .

وذلك النبي أو الحاكم ذلك الحالم يقتل لأنه تكلم بـــالزيغ مـــن وراء الرب إلهكم – سفر التثنية ١٣ : ١-٥".

وبالنسبة للشرط الثاني: قال الرب لموسى ولبنى إسرائيل:

"وإن قلت فى قلبك كيف تعرف الكلام الذى لـــم يـــتكلم بـــه الرب. فما تكلم به النبى باسم الرب. ولم يحدث ولم يـــصر، فهـــو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه – سفر التثنية ١٨ : ٢١-٢٢".

ذلك هو المعيار العام للحكم على صدق النبوة. وبتطبيق ذلك على نبوة محمد بن عبد الله نجد تحقق هذين الشرطين بكل بـــساطة ووضوح.

فالإسلام الذى دعا إليه محمد بن عبد الله قام أساســـا علـــى التوحيد الخالص وأنه لا إله إلا الله. فتلك هى خاصـــيته الأساســـية التى يعرف بها بين الجميع.

وبالنسبة لصدق تنبؤات المستقبل، فـــذلك شـــيء حفـــل بـــه القرآن. ويكفينا فى هذا المجال أن نذكر نبوءة واحدة تتعلق بصراع القوى الكبرى فى عصر محمد، إلا وهو التنبؤ بانتصار الروم على الفرس رغم ما لحق بهم من هزائم متوالية، ولقد جـــاء ذلـــك فـــى سورة تعرف باسم سورة الروم.

يقول المؤرخ الانجليزى ستيفن رنسيمان: "فى ربيـــع ســـنة ٦١٤ دخل فلسطين القائد الفارسي شـــهر بـــاراز فـــصار بنهـــب الأراضى ويحرق الكنائس أينما سار.. وفى ١٥ أبريل ســـنة ٦١٤ أقتحم بيت المقدس واستعد البطريرك زكريا لتسليم المدينة ليتجنـــب

سفك الدماء غير أن السكان المسيحيين رفضوا الاستكانة إلى التسليم. وفى ٥ مايو سنة ٦١٤ وبفضل مساعدة اليهود المقيمين داخل المدينة شق الفرس طريقهم إلى داخل المدينة فتلى ذلك من المناظر المريعة ما يجل عن الوصف.. وزحف الفرس على مصر بعد ثلاث سنوات (٦١٧) وأضحوا سادتها خلال سنة واحدة، وفى تلك الأثناء تقدمت جيوشهم شمالا حتى بلغت البوسفور. على أن سقوط بيت المقدس فى أيدى الفرس كان صدمة عنيفة للعالم المسيحى، وما قام به اليهود من دور لم يجز نسيانه أو اغتفاره فاتخذت الحرب مع الفرس صفة الحرب المقدسة.

فلما صار هرقل آخر الأمر سنة ٦٢٢ قادرا على أن يتخذ خطة الهجوم على العدو نذر نفسه وجيشه لله. واستطاع هرقل آخر برغم ما جرى من تقلبات عديدة فى الأحداث وما اشتد من القلق واليأس فى أوقات عديدة، أن ينزل الهزيمة الساحقة بالفرس" ([1])

لقد حزن المسلمون لهزائم الروم لما شعروا به نحوهم من روابط القربى فى الإيمان بالله والملائكة والكتاب والنبيين، على حين فرح مشركو مكة وما حولها بانتصار الفرس.

يقول المستشرق كارل بروكلمان: "هلل المكيون لهذه الانتصارات الفارسية ولكن محمدا أعلن اتباعه أن الهزيمة لابد أن تحل بالفرس فى وقت قريب"([2]).

([1]) تاريخ الحروب الصليبية ج ١ : ص ٢٤ – ٢٧.

([2]) تاريخ الشعوب الإسلامية : ص ٩٠.

لقد استمرت الأمور تسير بعد نزوله آية النبوة هذه فى غير صالح الروم، إذا استولى الفرس على مصر كما هددوا القسطنطينية قلب الأمبراطورية. ولكن ما أن جاء عام ٦٢٢ حتى بـــدأ الموقـــف يتحول لصالح الروم. واتخذ هرقل خطة مهاجمة الفرس فقام بثلاث حملات باهرة فى الإقليم الواقع من خلف جبال القوقاز.

"ثم لم يلبث أن انتزع من كسرى ثمرات النصر الذى تم لـــه وتعقبه حتى عاصمة ملكه.

ومن ذلك الحين والإمبراطورية الساسانية (الفارسية) تـــسير قـــدماً نحو مصيرها النهائى المحتوم إلى الدمار"([١]).

لقد انتهت هزائم الروم أمام الفرس وبدأت انتـــصارها ولمـــا يمضى على نزول آية النبوءة هذه بضع سنين، وهو العدد أقل مـــن عشرة.

التنبؤ بحفظ النبى من محاولات قتله:

نزلت آية هذه النبوة تقول : {يا أيها الرسول بلغ مـــا أنـــزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعـــصمك مـــن الناس، إن الله لا يهدى القوم الكافرين} [سورة المائدة : ٦٧].

لقد قالت عائشة رضى الله عنها: كان النبي (ص) يحـــرس حتـــى نزلت هذه الآية: {والله يعصمك من الناس} ، فـــأخرج النبـــي(ص) رأسه من القبة وقال :أيها الناس انصرفوا ، فقد عـــصمنا الله عـــز وجل.

([١]) موسوعة تاريخ العالم – ج ٢ : ص ٤٧٨.

لقد اكتملت رسالة النبي في حياته، ومات ميتة طبيعية على فراشـــه بين أهله وصحابته، فتحققت بذلك نبوءة القرآن تماما.

ذلك بعض ما يقال حين نأخذ ما تقوله التوراة معياراً للحكـــم على صدق النبوة، والآن ننتقل للحديث عن ملامح وصفات النبـــي المرتقب الذى بشرت به الأسفار.

من توراة موسى:

هو نبي مثل موسى يجعل الله كلامه فى فمه، فلا ينطق عن الهوى (سفر التثنية ١٨ : ١٨).

وبمقارنة الخطوط العامة لحياة موسى ومحمد نجد الآتى:

كلاهما: ولد ومات ميتة طبيعية – وتزوج وأنجب ذريـــة – وعدد زوجاته وتعرض لنقد بسبب ذلك – وجاء بشريعة طبقت فـــى عهده – وقادا أمته فى حروب ضد الكفار.

- **من المزامير:**

"تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار.. اركب من أجـــل الحـــق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف.. شعوب تحتك يسقطون.. بنات ملوك بين حظياتك – المزمور ٤٥"

ولقد تحقق هذا فى محمد رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم وحروبه ضد الكفار والمشركين.

- **من سفر أشعياء:**

- يشتهر بأنه عبد الله ورسوله : "هو ذا عبـــدى الـــذى أعـــضده. مختارى الذى سرت به نفسي. وضعت روحى عليـــه فيخـــرج الحق للأمم". – يسود الدين وتكتمل الشريعة التى جاء بها فـــى

عهده، لا من بعده: "لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته".

- يعصمه الله من الناس : "امسك بيدك واحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم".
- يأتى من الصحراء (البرية) وينتسب إلى إسماعيل بن إبراهيم: "لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التى سكنها قيدار". وقيدار هذا هو الابن الثاني لإسماعيل (سفر التكوين ٢٥ : ١٣).
- الشعب الذى ظهر فيه وانتصر عليه كان من عباد الأوثان : "يخزى خزيا المتكلون على المنحوتات، القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا".
- رجل حرب مقدام ينتصر على أعدائه : "كرجل حروب ينهض غيرته. يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه".
- فى مناسك دينه هتاف وتسبيح من رؤوس الجبال: "من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا للرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر". وهذا يحدث فى موسم الحج حيث أهم مناسكه الوقوف بجبل عرفات.

- **المعزى روح الحق:**

تحدث المسيح عن رسول آت بعده سماه المعزى روح الحق وذلك فى إصحاحات ثلاث أرقامها ١٤، ١٥ ، ١٦. كان مما قاله:

"أقول لكم الحق أنه خير لكم أن انطلق. لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزى.. ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيه وعلى بر وعلى دينونة. وأما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى.

إن لى أموراً كثيرة لأقــول لكــم ولكــن لا تــستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك الحق فهو يرشـــدكم إلـــى جميـــع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل بكل ما يسمع يتكلم به، ويخبـــركم بأمور آتية – إنجيل يوحنا ١٦ : ٧ – ١٣".

خاتمة

من هنا يتضح عدة أمور منها:

- إن المسيح وروح الحق لا يجتمعان فى وقت واحد، وأن الثـــانى لا يأتى إلا بعد رحيل الأول.
- وأن روح الحق كائن مستقل لا يتكلم من نفسه، إنما ينقـــل إلـــى الناس الحق الذى يسمعه.
- وأنه سوف يتنبأ بأمور آتية فيما بعد.
- ولما كان يوحنا كاتب هذا الكلام في إنجيله قد بين في رســـالته الأولى أن روح الحق إنسان مؤمن (٤ : ٦)، ولما كانت حاشية الترجمة الفرنسية المسكونية قد ذكرت أن روح الحق الذى تكلم عنه يوحنا في إنجيله (١٤ : ١٧) هو ذاته الذي تكلم عنــــه فـــى رسالته الأولى، ولما كان الروح القدس قد لازم المـــسيح منـــذ عمده يوحنا "واستقر عليه – إنجيل يوحنا ١: ٣٢" – من كل مـــا سبق يتبين أن روح الحق غير الروح القدس.

وإذا كان كاتب هذا الإنجيل قد ذكر روح الحق ثلاث مـــرات (فى ١٤ : ١٧ ، ١٥ :٢٦، ١٦ : ١٣)، بينما ذكر الـــروح القـــدس مرة واحدة (فى ١٤ : ٢٦) فإن هذا يعتبر خطأ تسرب إلى النـــسخ المتداولة من هذا الإنجيل.

ويؤكد ذلك أن هناك مخطوطة ســـريانية شـــهيرة اكتـــشفها اجنيس لويس عام ١٨١٢ فى دير سيناء، كتبت فى القرن الرابع أو الخامس، وهى تذكر الروح فقط وليس الروح القدس.

مما سبق جميعه يتبين أن روح الحق الـذى تحـدث عنـه المسيح إنما هو إنسان رسول يأتى بعده، ويبكت العالم على أنه لـم يؤمن بالمسيح الإيمان الحق، أى أنه عبد الله ورسـوله. وأن هـذا الرسول المرتقب ليس إلا النبى الذى كان ينتظره بنو إسرائيل كأحد المنتظرين الثلاثة على أيام يوحنا المعمدان (يوحنا ١ : ٢١).

وأخيرا فإن هذا النبى المرتقب سوف يخبر ببعض أحـداث المستقبل. ولقد عرضنا سلفا بعض تنبـؤات محمـد رسـول الله ، المسجلة فى القرآن وقد تحققت فى عالم الواقع، ولاشك أن الواقـع هو خير برهان.

وإذا كان المسيح قد قال إنه سيبقى فى الناس إلى الأبد، فـإن هذا يتمشى مع لغة الأسفار التى عندما تتحدث أحيانا عن رسـل الله إلى الناس، فإنها تعنى كتب الله التى جاء بها هؤلاء الرسـل إلـى الناس. وهذا ما تبينه قصة "الفتى ولعازر"التى ذكرها إنجيـل لوقـا (١٦ : ١٩-٣١)، إذا عندما قال الغنى لأبينا إبراهيم: "أسألك إذا يـا أبت أن ترسله إلى بيت أبى لأن لى خمسة أخوة حتى يـشهد لهـم لكيلا يأتواهم أيضا إلى موضع العذاب هذا. قال له إبراهيم: عنـدهم موسى والأنبياء".

فالمقصود بهذه العبارة: عندهم كتب موسى وكتب الأنبيـاء. وعلى ذلك يكون المقصود من قول المسيح أن روح الحق سـيكون "معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد ١٤-١٦"،هو أن الكتـاب الـذى سيأتى به ذلك الرسول الذى يتعقب المسيح سـيبقى محفوظـا إلـى الأبد. وهذا لا يتأتى إلا إذا تكفل الله – سبحانه – بحفظه. فلقد أثبت

الواقع إن كثيرا ممن استحفظوا على كتب الله الـــسابقة كـــانوا دون المستوى المطلوب.

ولهذا قال الله فى القرآن :{ إنا نحن نزلنا الـــذكر وإنـــا لـــه لحافظون } [سورة الحجر : ٩)

{إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم، وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد} [سورة فصلت : ٤١ ، ٤٢].